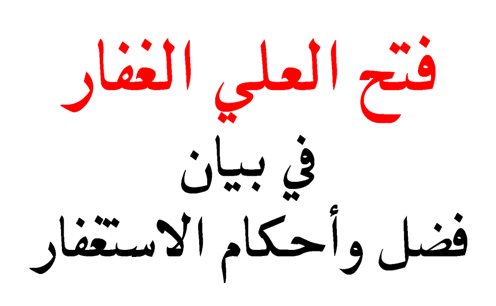


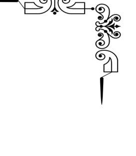
تأليف

الدكتور

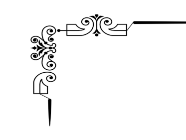
عزيز بن فرحان الحبلاني العنزي

طبعة مزيدة ومنقحة





مقدمة





إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[1]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[3]

أما بعد:

❐ فإن الاستغفار:

○ هو بداية العبد ونهايته،

---

(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

(٢) سورة النساء: (١).

(٣) سورة الأحزاب: (٧٠ – ٧١).

○ وأول منازل العبودية، وأوسطها، وآخرها؛

❑ ولهذا كان قوامُ الدين بالتوحيد والاستغفار؛

كما قال الله تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّهُمۡ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا﴾ (٢)

❑ **فانظر**: كيف **قرن الله تعالى بين الإيمان والاستغفار** في هذه الآية التي خاطب بها كفار مكة، والذين ما منعهم من الإيمان ونبذ الشرك، ومن الاستغفار مما سلف من ذنوبهم:

○ إلا تقدير الله إتيانهم ما جرت به سنته في الأمم المكذبة السابقة من الهلاك الدنيوي، أو العذاب الأخروي،

○ أو إرادته سبحانه وتعالى ذلك بناء على علمه السابق من سوء حالهم، وخبث نفوسهم.

---

(١) سورة هود: (١ – ٣).

(٢) سورة الكهف: (٥٥).

ولذلك: كان الرسول ﷺ إذا جاءه الرجل مسلماً علَّمه أن يقول: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**»[١]،

❐ ومن عيوب النفس البشرية كثرة الوقوع في الذنوب والخطايا، **ولازم عليها التخلص من ذلك، بالتوبة والاستغفار؛**

❐ والعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكرٍ، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكلاهما من الأمور اللازمة للعبد دائمًا فلو نظرت في جنس الإنسان لرأيت أنه لا يزال يتقلب في نعم الله تعالى التي لا تحصى، ولا يزال محتاجًا إلى التوبة والاستغفار لكونه خطَّاءً، «**وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»[٢].

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»[٣].

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٦٩٧) من حديث أبي مالك الأشجعي عن أبيه.

(٢) مقتبس من حديث أخرجه: الترمذي (٢٦٦٧) وابن ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس رضي الله عنه بهذا اللفظ وأوله: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ**، ...» وحسنه الألباني في المشكاة، (٢٣٤١).

(٣) أخرجه: مسلم (٢٧٤٩).

وفي الحديث القدسي: يقول الله تبارك وتعالى:

«... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...»[(١)]

❑ فهذه الأدلة وغيرها تشير إلى أن الأصل في جنس الإنسان الوقوع في الخطيئة والذنب، وأنَّ العبد مأمور بالتوبة والاستغفار لمحو الذنب والخطيئة.

✍ قال ابن رجب، رَحِمَهُ اللَّهُ : "...هذا يقتضي:

○ أن جميع الخلق مفتقرون إلى الله تعالى في جلب مصالحهم، ودفع مضارهم، في أمور دينهم ودنياهم،

○ وأن العباد لا يملكون لأنفسهم شيئًا من ذلك كله،

○ وأن منْ لم يتفضَّل الله عليه بالهدى والرزق، فإنه يُحْرَمْهُما في الدنيا، ومن لم يتفضَّل عليه بمغفرة ذنوبه أوبقتهُ خطاياه في الآخرة"[(٢)].

❑ ومن فضل الله سبحانه وتعالى، وعظيم كرمه، وكبير منته:

---

(١) أخرجه: مسلم (٢٥٧٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/٣٧-٣٨).

○ أن سهَّل على عباده الخروج من الذنب، والتخلص من الخطيئة فليس في شريعتنا ذنب إذا فعله الإنسان لا يمكن الخروج منه إلا بمشقة عظيمة، أو حرج شديد، بل إن الأمر يسير لمن يسره الله عليه، «**فاللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ**»[(١)] و «**يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ**»[(٢)] وأوبته ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[(٣)] فلله الحمد أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

❒ ومن جملة ذلك: أن الله تبارك وتعالى يسر أمر الاستغفار للعباد، فبمقدور كل عبد من عباد الله الإتيان به، فيستغفر الله في جميع أحواله وأوقاته، يستغفر الله في ليله ونهاره، وفي خلوته وجلوته، وفي صحته ومرضه، وفي حال ظعنه وإقامته، وفي قيامه وقعوده، وفي حال كونه طاهرًا أو محدثًا،

---

(١) مقتبس من حديث رواه مسلم (٢٧٥٩) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) مقتبس من حديث رواه البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) عن أنس رضي الله عنه.

(٣) سورة آل عمران: (١٣٥).

❑ **والواقع** أنه قد لا يكون هناك عذر لأحد في التكاسل عن الاستغفار بوجه من الوجوه.

✍ وقد قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه :

«عَجِبْتُ لِمَنْ يَهْلِكُ وَالنَّجَاةُ مَعَهُ! قِيلَ لَهُ: مَا هِيَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ».(١)

❑ والمتأمل في باب الاستغفار، وما ورد فيه من أدلة وأحكام:

- يجده متشعباً وواسعاً، وله ذيول وأطراف؛
- فلا يقتصر الإتيان به على التخلص من تبعة الذنب فقط،
- بل إنه يدخل في كثير من العبادات، والأعمال، والتروك،
- وله أحكام كثيرة، ومسائل عديدة يغفل عنها كثير من الناس،
- فالاستغفار عبادة مستقلة يأتي به المسلم ولو لم يستحضر ذنبًا أو معصية،

وهذا ما حرصت على كشفه وبيانه في هذه الرسالة المختصرة، **والتي أسميتها:**

---

(١) رواه: الدينوري، المجالسة وجواهر العلم (٤/٤٩/١٢٠٧).

[فتح العلي الغفار
في بيان فضل وأحكام الاستغفار]

وقد حاولت جاهدًا استقصاء ما يمكن من موضوعات الاستغفار، وما يندرج تحت هذه العبادة الجليلة من مسائل وأحكام وفوائد، والتوفيق من الله تعالى.

والله أسأل: أن ينفع بها راقمها وقارئها، وأن يدخرها لي،

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[١].

وكتبه

د. عزيز بن فرحان العنزي

---

(١) سورة الشعراء: (٨٨-٨٩).

فصــل في تعريـف الاستغفار في اللغة والاصطلاح

❑ جرت عادة أهل العلم البداية بتعريف المصطلحات، وذلك لكون هذه المصطلحات تمثل العنوان الذي يكشف طبيعة الموضوع المراد الولوج إليه.

❑ وحينما نذهب إلى معاجم اللغة وفقه المصطلحات، نجد العلماء عرفوا **الاستغفار بأنه**: مأخوذ من الغفر، والغفر هو: الستر، وإنما سمي المغفر والغِفار، لما فيه من معنى الستر، يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾(١)؛ ومعنى ﴿وَتَغۡفِرُواْ﴾، أي: تستروا عيوبهم، وتمهدوا لهم في الاعتذار.

✍ وقال الراغب: الغَفْرُ: إلباس ما يصونه عن الدّنس، ... والغُفْرَانُ والْمَغْفِرَةُ من الله هو أن يصون العبد من أن يمسّه العذاب... والاسْتِغْفَارُ: طلب ذلك بالمقال والفعال.(٢)

✍ قال الشاعر في الغفر:

---

(١) سورة التغابن: (١٤).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٠٩).

في ظل من عنت الوجوه له * ملك المُلوك ومَالك الغفر[(١)]

❐ والاستغفار في الاصطلاح:

المتأمل في معنى الاستغفار اصطلاحًا يجده لا يخرج عن المعنى اللغوي، **فهو:**

- طلب المغفرة من الله تعالى،
- والتجاوز عن الذنب،
- وعدم المؤاخذة به، إما بترك التوبيخ والعقاب رأساً، أو بعد التقرير[(٢)] به فيما بين العبد وربه،

أو هو على مصطلح الفقهاء الإتيان بصيغ الاستغفار.

❐ **وطلب المغفرة:** قد يكون بالقول والفعل:

- فإن المغفرة هي: وقاية شر الذنب.

---

(١) البيت للفرزدق كما في كتاب المجالسة للدينوري (٥/٤١٢). وانظر مقاييس اللغة (٤/٣٨٥) وروي: سبحان من عنت.... انظر: الفروق للعسكري (١/١٨٢). وروي البيت: ...ومالك العفو. انظر: البحر المحيط في التفسير (١/٣٩)

(٢) التقرير: أن يوقف الله تعالى عبده على الذنب، فيقر العبد به، أو تقر به جوارحه.

✍ قال تقي الدين أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ :

"الاستغفار: "طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنب، والمغفرة شيء زائد على الستر؛ لأن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه العبد، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له،وإنما يكون غفران الذنوب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب"[(١)]

وهذا صحيح لمن تأمله فكم من عاص لم يتب إلى الله أو تاب ولكن لم تقبل توبته إما لتخلف شرط أو وجود مانع ومع ذلك فالله يستر عليه بهذا الاستغفار، أو لا يعاقبه ظاهرًا.

✍ وقال أبو عبد الله شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

"**الاستغفار المفرد كالتوبة**، بل هو التوبة بعينها،مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر ، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣١٧).

بالتضمن وإما باللزوم. وحقيقتها: وقاية شر الذنب، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مِغْفَرًا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ" المغفر" من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾[١] فإن الله لا يعذب مستغفرًا ا.هـ[٢].

❑ وإنَّ المتأمل في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية يجد بأن **الاستغفار يأتي على معانٍ عديدة**، وذلك بالنظر إلى السياق الوارد فيه لفظة الاستغفار،

❑ فقصر الاستغفار على معنى واحد، يبطل المعاني الأخرى التي جاءت في نصوص الوحيين الشريفين.

---

(١) سورة الأنفال: (٣٣).

(٢) مدارج السالكين (١/٣١٤)

فصـــل
معاني الاستغفار والفروق في ذلك

❐ الواقع أن الناظر في نصوص القرآن والسنة، وأيضًا المعاجم اللغوية يجد بأن الاستغفار يأتي على معانٍ متعددة، وهذه المعاني يدل عليها سياق النص، وأيضًا تفسيرات الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وأهل العلم من أهل التفسير لمفردة الاستغفار، وهذه طريقة القرآن، وأيضًا ورد شيء كثير في أحاديث النبي ﷺ وأكثر ما يشكل على الناس هو الفرق بين التوبة والاستغفار!! هل هما شيء واحد؟ أم لفظان مختلفان يَحمل كل واحد منهما معنى غير الذي يَحمله الآخر؟

❐ ولما كان الفرق بين الاستغفار والتوبة في كلام طويل أذكر بعض معاني الاستغفار الواردة في النصوص الشرعية، فمنها:

[١] الأول الإسلام: فيأتي الاستغفار بمعنى الإسلام، وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ

﴿ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [(١)] أي: يسلمون. وهو أحد الأوجه الراجحة في تفسير هذه الآية، قاله: مجاهد وعكرمة.

[٢] الثاني: الدعاء: ويأتي الاستغفار بمعنى الدعاء،

فكلُّ دعاء فيه سؤال الغفران من الله فهو استغفار، إلا أن بين الاستغفار والدعاء عموماً وخصوصاً من وجه، فيجتمعان في طلب المغفرة، وينفرد الاستغفار إن كان بالفعل لا بالقول، كما ينفرد الدعاء إن كان بطلب غير المغفرة إذا وردا في سياق واحد.

✍ قال الشاعر:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ * رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ[(٢)]

[٣] الثالث: التوبة: ويأتي الاستغفار بمعنى التوبة،

وهنا يلتبس الأمر على كثير من الناس، فيظنون أن الاستغفار هو: التوبة، والتوبة هي: الاستغفار،

ومن المهم قبل الحديث عن الفرق بين الاستغفار والتوبة، وهل هما شيء واحد؟ أم أنهما مختلفان؟

---

(١) سورة الأنفال: (٣٣).

(٢) ذكره سيبويه في الكتاب (١/ ٣٧) منسوبا لشاعر دون تعين له.

لا بد من تعريف التوبة أولًا وقد عرفنا الاستغفار سابقًا، لأن لفظة التوبة والاستغفار تأتيان مقترنتين غالبًا في نصوص القرآن، ولذلك لزم الأمر تعريف التوبة حتى يتضح المعنى لنا بجلاء.

✍ قال الراغب الأصفهاني :

"فالتوبُ: تَرْكُ الذّنْبِ على أَجْمَلِ الْوُجُوهِ، وهو أَبْلَغُ وُجُوهِ الاعْتِذَارِ، فَإِنّ الإعْتِذَارَ على ثَلاثَةِ أَوْجهٍ: إمَّا أَنْ يَقُولَ المعْتَذِرُ لم أَفْعَلْ، أو يقولَ: فعلتُ لأَجلِّ كذا، أو فَعَلْتُ وأسأت وقد أَقْلَعْتُ ولا رابع لذلك، وهذا الرابع هُوَ التوْبَةُ"(١)

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف التوبة:

✍ فقيل التوبة: "هي الإقلاع عن عمل ذنب، والعزم على ألا يعود إليه"

✍ وقيل: "هي ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يُتدارك من الأعمال بالإعادة"

✍ وقيل:"هي الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره".

---

(١) المفردات (مادة: توب).

✍ وقيل: "هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب"[(١)]

❐ وبعد هذه التطوافة في تعريف التوبة، مع ما سبق من تعريف الاستغفار نخلص إلى أن: التوبة والاستغفار: **لفظان يشتركان في المعنى العام فيعطي واحد منهما معنى الآخر وذلك عند افتراقهما، أما عند الاقتران فإن لكل واحد منهما معنى خاص.**

✍ يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ :

"والاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق. وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى

فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى.

والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، فهاهنا ذنبان: ذنب قد مضى فالاستغفار منه طلب وقاية

---

(١) انظر هذه الأقوال في: لسان العرب، ابن منظور (٤٥٤/١)؛ التعريفات، الجرجاني (ص٧٤)، مفردات الراغب (ص٧٦)؛ مقاييس اللغة (٣٥٧/١)؛ رياض الصالحين، النووي (١١و١٢) ؛ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (٣٢٨/١٠)؛ مدارج السالكين، ابن القيم (٣٠٥/١).

شره، وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة العزم على أن لا يفعله، والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله.

فها هنا أمران لا بد منهما:

مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت" التوبة "بالرجوع، و"الاستغفار "بالمفارقة، وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء - والله أعلم - الأمر بهما مرتبا بقوله:﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [(١)] فإنه الرجوع إلى الطريق الحق بعد مفارقة الباطل.

وأيضاً فالاستغفار: من باب إزاله الضرر، **والتوبة**: طلب جلب المنفعة، فالمغفرة أن يقيه شر الذنب، والتوبة أن يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه، وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده"[(٢)]

❑ وبتتبع النصوص يظهر أن **بين التوبة والاستغفار عموماً وخصوصاً من وجه**، فإذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا تفرقا، **فعند الإطلاق** يدخل كل منهما في مسمى الآخر،

---

(١) سورة هود: (٣).

(٢) مدارج السالكين (١/٣١٥)

وعند اقترانهما: يكون **الاستغفار**: طلب وقاية شر ما مضى، **والتوبة**: الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله.

✍ وعليه فقد استقرأ أبو عبد الله شمس الدين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصوص الاستغفار، وخلص إلى أن الاستغفار يأتي مفردًا، ويأتي مقرونًا بالتوبة، ولكل واحدًا منهما معنى فقال:

"... **وأما الاستغفار** فهو نوعان: مفرد، ومقرون بالتوبة،

* فالمفرد:

كقول نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لقومه:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾(١)،

وقول صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه:

﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢)،

وكقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)،

---

(١) سورة نوح: (١٠- ١١).
(٢) سورة النمل: (٤٦).
(٣) سورة البقرة: (١٩٩).

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(١)].

* والمقرون:

كقوله تعالى:

﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾[(٢)]،

وقول هود عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾[(٣)]،

وقول صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[(٤)]،

وقول شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[(٥)]،

---

(١) سورة الأنفال: (٣٣).
(٢) سورة هود: (٣).
(٣) سورة هود: (٥٢).
(٤) سورة هود: (٦١).
(٥) سورة هود: (٩٠).

* **فالاستغفار المفرد**: كالتوبة، بل هو التوبة بعينها، مع تضمنه: طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، **لا كما ظنه بعض الناس، أنها: الستر**، فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما: بالتضمن، وإما باللزوم، **وحقيقتها**: وقاية شر الذنب، ومنه المغفر لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مغفرًا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلابد في لفظ المغفرة من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝٣٣﴾[1]؛ فإن الله لا يعذب مستغفرًا، أما من أصر على الذنب، وطلب من الله مغفرته، فهذا ليس باستغفار مطلق، ولهذا لا يمنع العذاب، فالاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضمن الاستغفار، وكل منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق،

* **وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى:**

فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى،

---

(١) سورة الأنفال: (٣٣).

والتوبة: الرجوع، وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، **فهاهنا ذنبان**:

- ذنب قد مضى فالاستغفار منه: طلب وقاية شره،
- وذنب يخاف وقوعه، فالتوبة: العزم على ألا يفعله.

والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه، وسيئات أعماله.

* **وأيضًا**: فإن المذنب بمنزلة من ركب طريقًا تؤديه إلى هلاكه، ولا توصله إلى المقصود، فهو مأمور أن يوليها ظهره، إلى مقصوده، وفيها فلاحه،

* **فهاهنا أمران لابد منهما**: مفارقة شيء، والرجوع إلى غيره، فخصت التوبة بالرجوع، والاستغفار بالمفارقة، **وعند إفراد أحدهما يتناول الأمرين**: ولهذا جاء -والله أعلم- الأمر بهما مرتبًا بقوله: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾[1]؛ فإنه الرجوع إلى طريق الحق، بعد مفارقة الباطل، **وأيضًا**: فالاستغفار: من باب إزالة الضرر، والتوبة طلب جلب المنفعة، فالمغفرة: أن يقيه شر الذنب. والتوبة: أن

---

(١) سورة هود: (٣) و (٥٢).

يحصل له بعد هذه الوقاية ما يحبه وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده، والله أعلم[١].

* فائدة:

- لا شك أن أفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار،
- وهو حينئذ يمكن أن يطلق عليه التوبة النصوح المطلوبة،
- وأما الإصرار، وهو:
  - الاستقرار على المخالفة،
  - والعزم على المعاودة،

فذلك ذنب آخر، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير،

وهذا من عقوبة الذنب أنه يُوجِدُ ذنبًا أكبر منه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك، حتى يستحكم الهلاك.

كما قرر هذا الحافظ ابن رجب، وشمس الدين ابن القيم، وغيرهما من أهل العلم[٢].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٠٧ – ٣٠٨).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/٤١٠) ومدارج السالكين، لابن القيم (١/٣١٥).

فصـــل
حكم الاستغفار

❑ الاستغفار: عبادة من العبادات الجليلة، والقرب العظيمة، وسواء استغفر المرء لنفسه، أو استغفر لغيره، وسواء كان الاستغفار عن ذنب أو عن غير ذنب، فإنها عبادة مشروعية، وهذا من جهة العموم، وأما من جهة التفصيل فقد تجري عليه الأحكام التكليفية.

* الاستغفار الواجب:

كالاستغفار من المعصية بعد الوقوع فيها، ويكون هنا بمعنى التوبة، والتي يطالب فيها بالإتيان بشروط التوبة المعلومة، من: الاقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، وأيضًا يمثل أهل العلم لذلك بالاستغفار لمن وقعت منه غيبة لأخيه، إذا لم يستطع التحلل منه، فيكثر له من الاستغفار، على الصحيح من أقوال أهل العلم. (١)

❑ والعبد له بعد الذنب عملان مهمان:

- أحدهما: قلبي، وهو التوبة.

(١) انظر مدارج السالكين (١/٣٩١).

- والثاني: لساني، وهو الاستغفار والاعتذار.

وهما مشروعان للعبد منذ عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [(١)]

أي: فتاب، فتاب الله عليه.

وقال تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [(٢)]. [(٣)]

* الاستغفار المندوب:

وهو الأصل في الاستغفار من حيث العموم؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [(٤)]

❑ **والقاعدة الأصولية**: أن الأصل في الأمر الوجوب إلا لقرينة صارفة، وهنا حمله أهل العلم على الندب، لأنه قد يكون من غير معصية، فيستغفر المرء لنفسه، ولوالديه، ولذريته، ولإخوانه الذين

---

(١) سورة البقرة: (٣٧).
(٢) سوة الأعراف: (٢٣).
(٣) انظر: حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي (١٢/٢٨٣).
(٤) سورة البقرة: (١٩٩)، وسورة المزمل: (٢٠).

سبقوه بالإيمان، وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، كما هي حال الأنبياء والمرسلين.

* الاستغفار المكروه:

فيكره الاستغفار في مواطن وأحوال، وقد ذكر بعض أهل العلم لذلك مثالاً، فقالوا: **كالاستغفار للميت خلف جنازته وأثناء تشييعه**، قالوا: لأن الاستغفار للميت يكون بعد دفنه، فيكون الاستغفار هنا قد وظف في غير محله ومكانه، ولم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان يستغفر خلف الجنازة، ولا عن أحد الصحابة، رضوان الله عليهم أجمعين، وإنما كانوا يستغفرون له بعد دفنه؛ كما سيمر معنا.

* الاستغفار المحرم:

وقد يكون الاستغفار محرمًا يأثم عليه المستغفر، وقد ذكر العلماء لذلك أمثلة، كالاستغفار للكفار والمنافقين الخُلَّص، ولو كانوا أولي قربى: للنهي الصريح الوارد في كتاب الله جل وعلا، قال تعالى:

﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ

ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾[1]

وقال ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : "

﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ ﴾[2] يَعْنِي اسْتَغْفِرَ لَهُ مَا كَانَ حَيًّا، فَلَمَّا مَاتَ أَمْسَكَ عَنِ الِاسْتِغْفَارِ لَهُ"[3]

- وقال الله تعالى في حق المنافقين:

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[4]

- وفي هذا دلالة واضحة أن الاستغفار للناس نافعهم ولاحق بهم؛ لأن الذي حال بين أهل هذه الآيات من الكفار والمنافقين، وبين استغفار رسول الله ﷺ لهم إنما هو كفرهم ونفاقهم لا غيره.

---

(١) سورة التوبة: (١١٣-١١٤).
(٢) سورة التوبة: (١١٤).
(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٢/ ٣٠).
(٤) المنافقون: (٦).

❑ ولذلك يحرم الاستغفار لمن مات على الكفر، وهو محل إجماع بين العلماء.

✍ قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يحرمُ أن يُدعى بالمغفرة ونحوها لمن مات كافراً، قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾[١]، وقد جاء الحديث بمعناهُ، **والمسلمون مجمعون عليه**.[٢]

✍ وقال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"فرض على جميع الأمة أن لا يدعوا لمشرك ولا يستغفروا له إذا مات على الشرك"[٣].

---

(١) سورة التوبة: (١١٣-١١٤).

(٢) كتاب الأذكار (ص ٣٦٤/تحقيق الأرناؤوط) وانظر: فتاوى النووي (٨٤) ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤٨٩/١٢).

(٣) عمدة القاري (١٩٣/٨)

فصـــل
حاجة العبد إلى الاستغفار

❑ عبادة الاستغفار لها شأن عظيم، ومنزلة كبيرة، ومكانة سامية، ويكفي لبيان شأن الاستغفار ومكانته:

* مواظبة الأنبياء عليه،
* ودعوة أقوامهم إليه،
* وثناء الله تعالى على المتلبسين به، واللاهجين به في الأسحار،

❑ والعبد بالنسبة إلى ربه عَزَّ وَجَلَّ فقير إليه فقر ذات، وفقر صفات، واحتياجه لربه عَزَّ وَجَلَّ أمر ذاتي لا ينفك عن العبد في كل لحظة، وفي كل حركة وسكون، وَ«**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»(١)

❑ ولما كان ابن آدم كثير الخطايا لزمه أن يكثر من الاستغفار وأن يلازمه، وأن يواظب عليه، لأن الاستغفار:

○ زيادة على كونه يكفر الله به الذنوب والآثام،
○ فهو عبادة عظيمة فيها:

---

(١) سيأتي تخريجه (ص ١٢٢).



* تجديد رجاء المغفرة من الذنوب،

* وسد ذريعة اليأس الذي يوسوس به الشيطان،

* وأيضًا يكبح جماح النفس المغرورة والمتعالية في كثير من المواقف،

* ويدعو إلى الإقلاع عن التفكر في الوقوع في الخطايا والآثام.

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ جَزْلَةٌ(١): وَمَا لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**، ...» الحديث.(٢)

✍ وَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ بَكْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيَّ، يَقُولُ: «أَنْتُمْ تُكْثِرُونَ مِنَ الذُّنُوبِ فَاسْتَكْثِرُوا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ، فَإِنَّ

---

(١) جزلة بِفَتْح الْجِيم وَسُكُون الزَّاي أَي ذَات عقل ورأي قَالَ ابن دُرَيْد: الجزالة الْعقل وَالْوَقار. [شرح السيوطي على مسلم (١/ ٩٥)]

(٢) أخرجه: مسلم (رقم ٧٩/١٣٢).

الرَّجُلَ إِذَا وُجِدَ فِي صَحِيفَتِهِ بَيْنَ كُلِّ سَطْرَيْنِ اسْتِغْفَارًا سَرَّهُ مَكَانُ ذَلِكَ»(١)

✍ ويقولُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللهُ :
" رَأَيْتُ أَبِي فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَأَنَّهُ فِي حَدِيقَةٍ فَرَفَعَ إِلَيَّ تُفَّاحَاتٍ فَأَوَّلْتُهُنَّ بِالْوَلَدِ، فَقُلْتُ: أَيَّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟ قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ يَا بَنِيَّ"(٢)

✍ وعَن مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللهُ ، قَالَ:
كَانَ الْأَبْرَارُ يَتَوَاصَوْنَ بِثَلاثٍ:

* بِسَجْنِ اللِّسَانِ،
* وَكَثْرَةِ الاسْتِغْفَارِ،
* وَالْعُزْلَةِ "(٣)

---

(١) انظر: الزهد لأحمد بن حنبل (١٨٢٨)، والتوبة لابن أبي الدنيا (١٧٩)، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/٢٣٠).

(٢) انظر: المنامات لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩). ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٦/ ٣٣١)، وذكره ابن القيم في الروح - ط عالم الفوائد (١/ ٦٣) والسفاريني في البحور الزاخرة، السفاريني (١/٣١٤). والسيوطي في شرح الصدور (٢٧٩) ووقع عند ابن القيم -وتبعه السفاريني- (عبد الله بن عمر بن عبد العزيز)، والصواب أنه عبد العزيز بن عمر.

(٣) أخرجه: ابن أبي الدنيا في "العزلة والانفراد" (٩٨).

✍ وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ مَا الدَّاءُ وَالدَّوَاءُ وَالشِّفَاءُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «الدَّاءُ الذُّنُوبُ وَالدَّوَاءُ الِاسْتِغْفَارُ وَالشِّفَاءُ أَنْ تَتُوبَ ثُمَّ لَا تَعُودَ»(١)

✍ ويقول الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «أَشْكُو إِلَيْكَ حَاجَةً لَا يَحْسُنُ بَثُّهَا إِلَّا إِلَيْكَ، وَأَسْتَغْفِرُ مِنْهَا وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٢)

❑ ولذلك يتفاوت الناس في إدراك هذا الأمر، ولما كان الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أعرف الناس بالله كانوا أكثرهم خشية، وإنابة له، وأشدهم تمسكاً بهذا الاستغفار، وهكذا العلماء يأتون في المرتبة الثانية بعد الأنبياء في حيازة الخشية والإنابة: لأن "**مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنَ اللَّهِ أَخْوَفَ**" (٣)،

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٤)،

---

(١) انظر: الزهد لأحمد بن حنبل (١٩٨٣) وحلية الأولياء لأبي نعيم (٢/١٠٨)

(٢) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/١٠٩)

(٣) هذه مقولة مأثورة عن أحمد بن عاصم الأنطاكي الزاهد، -وهو من أَقْرَان بشر الحافي والمحاسبي-، أخرجها عنه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٧٨٦).

(٤) سورة فاطر: (٢٨).

❐ ولذلك نجد أهل العلم في غالب أحوالهم على هذا المسلك من الاستمساك بالاستغفار، وكذلك وصاياهم به لا تكاد تغيب عن منهجهم في التعليم والتوجيه، فهم يرغبون الناس في المحافظة على الاستغفار: لما يعلمون ما فيه من السلامة والعصمة، ومحق الذنوب، وتيسير الأمور للعبد.

✍ قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ- مبيناً حاجة العبد إلى الاستغفار:

"**الِاسْتِغْفَارُ:**

* يُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ الْفِعْلِ الْمَكْرُوهِ، إلَى الْفِعْلِ الْمَحْبُوبِ
* ومِنْ الْعَمَلِ النَّاقِصِ إلَى الْعَمَلِ التَّامِّ
* وَيَرْفَعُ الْعَبْدَ مِنْ الْمَقَامِ الْأَدْنَى إلَى الْأَعْلَى مِنْهُ وَالْأَكْمَلِ؛

فَإِنَّ الْعَابِدَ لِلَّهِ وَالْعَارِفَ بِاَللَّهِ:

* فِي كُلِّ يَوْمٍ
* بَلْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ
* بَلْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ

يَزْدَادُ عِلْمًا بِاَللَّهِ، وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ بِحَيْثُ يَجِدُ ذَلِكَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ

وَيَرَى تَقْصِيرَهُ فِي حُضُورِ قَلْبِهِ فِي الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا

* فَهُوَ **يَحْتَاجُ إلَى الِاسْتِغْفَارِ** آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ؛ **بَلْ هُوَ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ دَائِمًا** فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ فِي الغوائب وَالْمَشَاهِدِ لِمَا فِيهِ:

- مِنْ الْمَصَالِحِ وَجَلْبِ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّاتِ.
- وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ فِي الْقُوَّةِ فِي الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ.

* وَقَدْ ثَبَتَتْ: دَائِرَةُ الِاسْتِغْفَارِ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَاقْتِرَانُهَا بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إلَى آخِرِهِمْ وَمِنْ آخِرِهِمْ إلَى أَوَّلِهِمْ وَمِنْ الْأَعْلَى إلَى الْأَدْنَى؛ وَشُمُولِ دَائِرَةِ التَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَهُمْ فِيهَا دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَلِكُلِّ عَامِلٍ مَقَامٌ مَعْلُومٌ.

* **فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ بِصِدْقِ وَيَقِينٍ**: تُذْهِبُ الشِّرْكَ كُلَّهُ دِقَّهُ وَجِلَّهُ خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ؛ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَتَأْتِي عَلَى جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَخَفَايَاهُ وَدَقَائِقِهِ.

* **وَالِاسْتِغْفَارُ**: يَمْحُو مَا بَقِيَ مِنْ عَثَرَاتِهِ وَيَمْحُو الذَّنْبَ الَّذِي هُوَ مِنْ شُعَبِ الشِّرْكِ فَإِنَّ الذُّنُوبَ كُلَّهَا مِنْ شُعَبِ الشِّرْكِ. **فَالتَّوْحِيدُ يُذْهِبُ أَصْلَ الشِّرْكِ وَالِاسْتِغْفَارُ يَمْحُو فُرُوعَهُ** فَأَبْلَغُ الثَّنَاءِ قَوْلُ: لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَبْلَغُ الدُّعَاءِ قَوْلُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ. فَأَمَرَهُ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ وَلِإِخْوَانِهِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ...[(١)]

وقال - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

* التَّوْبَةُ مِنْ أَعْظَمِ الْحَسَنَاتِ
* وَالْحَسَنَاتُ كُلُّهَا مَشْرُوطٌ فِيهَا:
  ○ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ
  ○ وَمُوَافَقَةُ أَمْرِهِ بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ ﷺ
* وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ أَكْبَرِ الْحَسَنَاتِ وَبَابُهُ وَاسِعٌ.
  ○ فَمَنْ أَحَسَّ بِتَقْصِيرِ فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ حَالِهِ أَوْ رِزْقِهِ أَوْ تَقَلُّبِ قَلْبٍ: **فَعَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ وَالِاسْتِغْفَارِ فَفِيهِمَا الشِّفَاءُ** إذَا كَانَا بِصِدْقِ وَإِخْلَاصٍ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٧).

○ وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدَ الْعَبْدُ تَقْصِيرًا فِي حُقُوقِ الْقَرَابَةِ وَالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ وَالْجِيرَانِ وَالْإِخْوَانِ: **فَعَلَيْهِ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ وَالِاسْتِغْفَارِ.**

قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ رضي الله عنهما لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ لِي لِسَانًا ذَرِبًا عَلَى أَهْلِي. فَقَالَ لَهُ: «**أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؟ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»[1]".[2]

وقد فسر البراء بن عازب رضي الله عنهما إلقاء النفس بالتهلكة بترك الاستغفار.

فَعَنِ الْبَرَاءِ رضي الله عنه وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عُمَارَةَ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[3] أَهُوَ الرَّجُلُ يَلْقَى الْعَدُوَّ فَيُقَاتِلُ حَتَّى يُقْتَلَ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ هُوَ الرَّجُلُ يُذْنِبُ الذَّنْبَ، فَيَقُولُ: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِي»[1]

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٣٨١٧) والنسائي في السنن "الكبرى" (١٠٢١٠-١٠٢١٤) وأحمد (٢٣٣٤٠) والدارمي (٢٧٢٣) وابن حبان (٩٢٦) والبيهقي في الشعب (٦٧٨٨) والطبراني في الدعاء (١٨١٧) بأسانيد لا يخلو كل واحد منها من مقال، وله شواهد في الصحيحين.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٩٨)

(٣) البقرة: ١٩٥.

فصـــل
فضل الاستغفار

❑ ورد في فضل الاستغفار نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، كلها تشير إلى أهمية الاستغفار، وفضله، وكثرة خيره وبركته، وكبير عوائده وفوائده، على المستغفر والـمُستَغفَرِ له، وعلى مجموع الأمة.

وقد تنوعت دلالات نصوص القرآن والسنة في ذلك ما بين أمر به، وإرشاد إليه، وحكاية ما عليه حال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من التمسك به، ودعوة أقوامهم إليه، كل ذلك يشير إلى فضله ومكانته عند الله.

❑ ومما يدل على فضل الاستغفار:

[١] أولاً: ثناء الله تعالى على المستغفرين:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (٢)،

✍ قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هُمُ السَّائِلُونَ الْمَغْفِرَةَ. [وقال] (٣) قَتَادَةُ: الْمُصَلُّونَ. قُلْتُ: وَلَا تَنَاقُضَ، فَإِنَّهُمْ

---

(١) أخرجه: الطبري (٣/٣١٩/ط هجر) والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٠٣/١٢) والحاكم (٣٠٨٩) والبيهقي (٩/ ١٧٩٢٦/٧٨) وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ا.هـ

(٢) سورة آل عمران: (١٧).

(٣) كلمة "وقال" ليست في التفسير وزدتها للإيضاح.

يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ. وَخَصَّ السَّحَرَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ مَظَانُّ الْقَبُولِ وَوَقْتُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ ا.هـ[١]

وقال تعالى: ﴿ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾[٢]،

والأسحار: جمع سحر، وهو: من ثلث الليل الأخير، وتخصيص السحر بالاستغفار؛ لأنه الدعاء فيه أقرب إلى الإجابة؛ إذ العبادة حينئذ أشق، والنفس أصفى، والرب تعالى ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته إلى سماء الدنيا، ويقول: «**هل مِنْ مُستغفرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ** »[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رَحِمَهُ اللَّهُ:

"..والناس في آخر الليل يكون في قلوبهم من التوجه، والتقرب، والرقة ما لا يوجد في غير ذلك الوقت، وهذا مناسب لنزوله إلى سماء الدنيا وقوله هل من داع؟ هل من سائل؟ هل من تائب؟ "[٤]

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٥٩/ ط الرسالة)

(٢) سورة الذاريات: (١٨).

(٣) أخرجه: البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) مجموع الفتاوى ٥ / ١٣٠ – ١٣١ -٢٤١.

ولذلك لما طلب أبناء يعقوب عليه السلام، من أبيهم أن يستغفر لهم، أجّلَهم إلى السحر، ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ﴾[(١)]، قاله ابن مسعود والنخعي، وعمرو بن قيس، وابن جريج وغيرهم[(٢)].

وهكذا قال إبراهيم لأبيه: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾[(٣)]، قيل: إنه أخَّر الاستغفار له إلى السحر[(٤)].

[٢] ثانيًا: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم للاستغفار:[(٥)]

---

(١) سورة يوسف: (٩٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥١٥).

(٣) سورة مريم: (٤٧).

(٤) نقله الحافظ مكي بن أبي طالب في الهداية الى بلوغ النهاية (٧/ ٤٥٤٩) عن السدي. وضعفه القاضي عبد الحق ابن عطية في تفسيره (٤/ ١٩).

(٥) وقد استكشل وقوع الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم، وكذا باقي الأنبياء عليهم السلام ومعلوم أن الاستغفار يستدعي وقوع معصية، فأجاب أهل العلم بأجوبة حاصلها:

١. هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإن عصموا من الكبائر فلم يعصموا من الصغائر، والراجح عدم عصمتهم من الصغائر التي لا تخل بالمروءة ولا تقدح في صدق الرسالة.

٢. الأنبياء أشد الناس اجتهادًا في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة، فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير، فيكون استغفارهم من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى.

ومما يدل على فضله، وكثرة خيره، وبـركته: ملازمة النبي ﷺ له، والرسول ﷺ لا يفعل إلا الأفضل من العمل، فضلاً عن الملازمة التامة له، فقد ثبت أن النبي ﷺ واظب على الاستغفار، حتى كان شعارًا ظاهرًا له، وقد جاءت نصوص كثيرة بهذا. **فمن ذلك**:

عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ**(١) **عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»(٢)

---

٣. قيل: إن النبي ﷺ يقوم بأعمال كثيرة تحجبه عن ذكر الله تعالى من أكل وشرب أو جماع أو نوم أو راحة أو مخاطبة الناس، والنظر في مصالحهم و محاربة عدوهم ومداراته الأخرى، وتأليف المؤلفة وغير ذلك فيرى ذلك ذنبًا ينبغي أن يستغفر الله تعالى منه.

٤. قيل: إن استغفاره تشريع لأمته، أو من ذنوب الأمة فهو كالشفاعة لهم.

قلت: والأجوبة التي ذكرها أهل العلم كثيرة، **وأحسنها الجواب الثاني**، بدليل قول النبي ﷺ لعائشة لما رأته يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقالت: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: " أفلا أكون عبدًا شكورًا " .

(١) قال ابن حجر: " قال عياض: المراد بالغين فترات عن الذكر الذي شأنه أن يداوم عليه، فإذا فتر عنه لأمر ما عدَّ ذلك ذنبًا فاستغفر منه. وقيل هو شيء يعتري القلب مما يقع من حديث النفس، وقيل هو السكينة التي تغشى قلبه والاستغفار لإظهار العبودية معه والشكر لما أولاه " فتح الباري (١٥٨/١٤).

(٢) أخرجه: أحمد (٢٦٠/٤) ومسلم (٢٧٠٢) وأبوداود (١٥١٥).

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(١)

وَعَنِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»(٢) وفي رواية: «...، **إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ**»(٣)

[٣] ثالثًا: أن الاستغفار هو شعار الأنبياء جميعًا عليهم السلام:

فما من نبي إلا استغفر ربه تعالى، ودعا أمته إلى الاستغفار:

قال الله تعالى على لسان آدم وحواء عليهما السلام وهما يستغفران الله من الخطيئة: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(٤)،

وقال تعالى على لسان موسى عليه السلام:

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٠٧).

(٢) أخرجه: أبوداود (١٥١٦) وابن ماجه (٣٨١٤/ط مُحَمَّد عبد الباقي) وانظر المسند المعلل (٧٦٦٠).

(٣) أخرجه: الترمذي ت شاكر (٣٤٣٤) وابن ماجه (٣٨١٤/ط الأرناؤوط)

(٤) سوة الأعراف: (٢٣).

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)]،

وقال تعالى عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾[(٢)]،

وقال تعالى على لسان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يعظ قومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[(٣)]، ،

وقال تعالى على لسان صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يعظ ثمودًا: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[(٤)]،

وفي آية أخرى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[(٥)]،

وقال تعالى على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يعظ قومه:﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[(٦)]،

---

(١) سورة القصص: (١٦).
(٢) سورة ص: (٢٤).
(٣) سورة نوح: (١٠- ١١).
(٤) سورة النمل: (٤٦).
(٥) سورة هود: (٦١).
(٦) سورة هود: (٥٢).

وقال تعالى على لسان شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾[(١)]،

والنصوص في هذا الأمر كثيرة جدًا، مما يدل على عظيم مقام الاستغفار.

[٤] رابعًا: أن الاستغفار أساس العبودية وروحها:

❑ لأن المستغفر إنما يظهر كمال ذله، وافتقاره، وخضوعه بين يدي مولاه، لعلمه أنه وحده الخالق والمتفرد، المستحق للعبادة، وأنه بيده الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، وأنه لا يغفر الذنوب إلا هو، ولا يقيل العثرات، ويغفر الزلات، ويتجاوز عن الخطيئات إلا هو، فهنا لا يتوكل العبد إلا عليه، ولا يرجو أحداً سواه، ولا يسأل غيره، ولا يستعين إلا به، فهاجسه الذي يقلقه على الدوام: طلب رضى الله وعفوه، فهو في كل لحظة يستشعر افتقاره إلى ربه، وحاجته إليه، ومن يحمل مثل هذا الأمر يكون قد نجى ـ بإذن الله تعالى ـ من الأمن من مكر الله، ومن القنوط من رحمته،

❑ لأن غير المستغفر أحد رجلين:

---

(١) سورة هود: (٩٠).

○ إما أنه آمن من مكر الله ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[1]،

وإما أنه قانط من رحمة الله ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[2].

✍ قال ابن القيم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "... " **أساس كل خير:**

○ أن تعلم أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فتيقن حينئذ:

* أن الحسنات من نعمه فتشكره عليها، وتتضرع إليه أن لا يقطعها عنك،

* وأن السيئات من خذلانه وعقوبته، فتبتهل إليه أن يحول بينك وبينها، ولا يكلك في فعل الحسنات، وترك السيئات إلى نفسك،

○ وقد أجمع العارفون على أن كل خير فأصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فأصله خذلانه لعبده،

(١) سورة الأعراف: (٩٩).
(٢) سورة الحجر: (٥٦).

○ وأجمعوا أن التوفيق: أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان: أن يخلي بينك وبين نفسك،

○ فإذا كان كل خير، فأصله: التوفيق، وهو: بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه:

* الدعاء، والافتقار،

* وصدق اللجأ، والرغبة والرهبة إليه،

○ فمتى أُعطيَ العبد هذا المفتاح، فقد أراد أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجاً دونه.

✍ قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ وَلَكِنْ هَمَّ الدُّعَاءِ فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدُّعَاءَ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ".(١)

○ وعلى قدر نية العبد، وهمته، ومراده، ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته،

○ فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم، وثباتهم، ورغبتهم، ورهبتهم،

---

(١) ذكره ابن القيم في غير موضع من كتبه وكذا شيخه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٨/ ١٩٣) واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٢٢٩) ولم أجده مسندا.

○ والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك،

○ فالله سبحانه أحكم الحاكمين، وأعلم العالمين

○ يضع التوفيق في مواضعه اللائقة به، والخذلان في مواضعه اللائقة به، هو العليم الحكيم،

o وما أتي من أتي إلا من قبل:

* إضاعته الشكر،

* وإهمال الافتقار والدعاء،

o ولا ظفر من ظفر بمشيئة الله وعونه، إلا:

* بقيامه بالشكر،

* وصدق الافتقار والدعاء ...)[(١)].

[٥] خامسًا: أن في الاستغفار مصالح قد لا يدركها العبد.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ -وهو يتحدث عن فوائد التضرع إلى الله تعالى ومشاهدة الذنب-:

○ "...ومنها: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أراد بعبده خيرًا أنساه رؤية طاعاته، ورفعها من قلبه ولسانه، فإذا ابتلي بالذنب جعله نصب عينيه،

(١) الفوائد (ص١٢٧-١٢٨).

ونسي طاعاته، وجعل همه كله بذنبه، فلا يزال ذنبه أمامه إن قام أو قعد أو غدا أو راح، فيكون هذا عين الرحمة في حقه،

كما قال بعض السلف: "إن العبد ليعمل الذنب فيدخل به الجنة، ويعمل الحسنة فيدخل بها النار، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه، كلما ذكرها بكى وندم وتاب واستغفر وتضرع، وأناب إلى الله، وذل له وانكسر، وعمل لها أعمالاً، فتكون سبب الرحمة في حقه، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه، يمن بها، ويراها يعتدّها على ربه، وعلى الخلق، ويتكبر بها، ويتعجب من الناس كيف لا يعظمونه، ويكرمونه، ويجلونه عليها؟! فلا تزال هذه الأمور به، حتى تقوى عليه آثارها، فتدخله النار،

- فعلامة السعادة: أن تكون حسنات العبد خلف ظهره، وسيئاته نصب عينيه،
- وعلامة الشقاوة: أن يجعل حسناته نصب عينيه وسيئاته خلف ظهره، والله المستعان.

- ومنها: أن شهود العبد ذنوبه وخطاياه توجب له أن لا يرى لنفسه على أحد فضلاً، ولا له على أحد حقًّا، فإنه يشهد عيوب نفسه وذنوبه، فلا يظن أنه خير من مسلم يؤمن بالله ورسوله، ويحرم ما حرم الله ورسوله، فإذا شهد ذلك على نفسه، لم ير لها على الناس حقوقًا من الإكرام يتقاضاهم إياها، ويذمهم على ترك القيام بها؛ فإنها عنده أخس قدرًا، وأقل قيمة من أن يكون لها على عباد الله حقوق، يجب عليهم مراعاتها، أو له عليهم فضل يستحق أن يكرم، ويعظم، ويقدم لأجله، فيرى أن من سلم عليه، أو لقيه بوجه منبسط فقد أحسن إليه، وبذل له ما لا يستحقه، فاستراح هذا في نفسه، وأراح الناس من شكايته، وغضبه على الوجود وأهله، فما أطيب عيشه، وما أنعم باله، وما أقر عينه، وأين هذا ممن لا يزال عاتبًا على الخلق، شاكيًا ترك قيامهم بحقه، ساخطًا عليهم، وهم عليه أسخط...
- ومنها: أنه يوجب له الإمساك عن عيوب الناس، والفكر فيها؛ فإنه في شغل بعيب نفسه، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب

الناس، وويل لمن نسي عيبه، وتفرغ لعيوب الناس، هذا من علامة الشقاوة، كما أن الأول من أمارات السعادة.

- ومنها: أنه إذا وقع في الذنب شهد نفسه مثل إخوانه الخطائين، وشهد أن المصيبة واحدة، والجميع مشتركون في الحاجة، بل في الضرورة إلى مغفرة الله وعفوه ورحمته، فكما يحب أن يستغفر له أخوه المسلم، كذلك هو أيضًا ينبغي أن يستغفر لأخيه المسلم، **فيصير هجيراه: رب اغفر لي، ولوالدي، وللمسلمين والمسلمات وللمؤمنين والمؤمنات.**

- فإذا شهد العبد أن إخوانه مصابون بمثل ما أصيب به، محتاجون إلى ما هو محتاج إليه، لم يمتنع من مساعدتهم، إلا لفرط جهلٍ بمغفرة الله وفضله، وحقيق بهذا أن لا يساعد؛ فإن الجزاء من جنس العمل،

- وقد قال بعض السلف: إن الله لما عتب على الملائكة بسبب قولهم: ﴿ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [(١)]، وامتحن

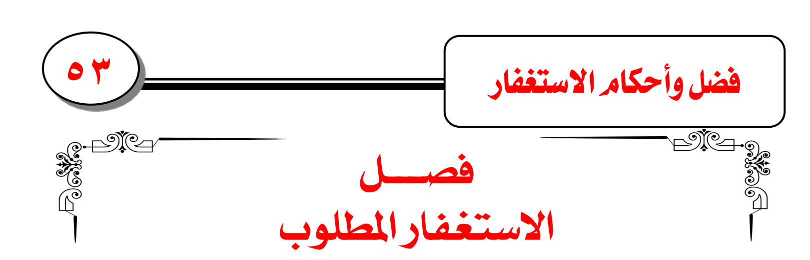
---

(١) سورة البقرة: (٣٠).

هاروت وماروت بما امتحنهما به، جعلت الملائكة بعد ذلك تستغفر لبني آدم، وتدعوا الله لهم[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢٩٤-٢٩٩).



فصـــل
الاستغفار المطلوب

❑ قد مر معنا:

أن الاستغفار عبادة من أجل العبادات، وأن فضله عظيم، وعوائده كثيرة، وخيراته على العبد متوالية، في الدنيا والآخرة، وقد أشرت إلى ما كان عليه الأنبياء من الاستغفار، وسيمر معنا بيان آثاره في فصل مستقل، لكن السؤال الذي يطرح: **ما هو الاستغفار المطلوب من العبد الاتيان به** ؟ والذي به يستنزل المستغفر عطف الله ورحمته، ويكون مقبولاً بإذن الله رب العالمين ؟!!

❑ ها هنا قاعدة عند أهل السنة والجماعة يذكرونها دائماً في شروط قبول العمل، أذكرها قبل الحديث عن الاستغفار المطلوب، **وهي أن العبادة لا تقبل إلا بشرطين أساسين:**

* الأول: أن يكون العمل خالصاً لله تعالى.
* والثاني: أن يكون صواباً على سنة النبي ﷺ.

ويَطرد العلماء هذين الشرطين في جميع العبادات،

وقد يضيفون لبعض العبادات شروطاً أُخر لافتقارها إليها،

والبعض يسميها: أركاناً

والبعض يسميها: شروطاً،

❑ وهذه في الحقيقة راجعة إلى جنس العبادة المأمور بها، وما ورد بخصوصها من نصوص تضاف إلى شرطي قبول العمل،

❑ فالاستغفار مثلاً الذي نحن بصدده عبادة من العبادات، اشترط فيه حتى يكون مقبولاً:

○ أن يكون خالصاً لله تعالى، لا يبتغي به صاحبه أحداً سوى الله تعالى،

○ وأن يكون مشروعاً:

* ليس فيه ألفاظا شركية: كطلب المغفرة من المقبورين،

* أو بدعية: كتوظيفه في وقت محدد، غير مشروع في أصل السنة،

* أو محرمة: كقول: اللهم اغفر لي إن شئت.

❑ وأيضاً يذكر كثير من أهل العلم: أن من شروطه:

○ أن يكون التلفظ باللسان لهذا الاستغفار، مصحوباً معناه في القلب،

○ وأن يتذكر الذنب المستغفر منه في الحال، إن كان ثمة ذنب، وذلك لتتحقق له نتائج الاستغفار وثمراته، لقوله تعالى:

﴿ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾[(١)]،

❒ أما إن كان الاستغفار:

* باللسان فقط، دون تذكر معناه في القلب،

* أو يستغفر، وهو مصر على المعصية،

فقد ذكر كثير من أهل العلم: أنه استغفار غير مقبول، لعدم توفر شرط صحته، **بل ذكروا أنه ذنب يحتاج إلى استغفار**، كما يروي: **«التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَالْمُسْتَغْفِرُ مِنَ الذَّنْبِ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ كَالْمُسْتَهْزِئِ بِرَبِّهِ...»**[(٢)]

---

(١) سورة آل عمران: (١٣٥).

(٢) أخرجه: ابن أبي الدنيا في التوبة (٨٥) ومن طريقه البيهقي في الشعب (٦٧٨٠). وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (ص: ١٣٨٤): والألباني في الضعيفة (٦١٦) وقال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" (١٣/٤٧١): " الراجح أن قوله: " والمستغفر إلى آخره " موقوف وأوله عند ابن ماجة والطبراني من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وسنده حسن". وقال السخاوي: ...حسنه شيخنا يعني لشواهده وإلا فأبو عبيدة جزم غير واحد بأنّه لم يسمع من أبيه" [الأجوبة المرضية (٢١)]

يقول عبد الله بن سهل الرازي سمعت يحيى بن معاذ يقول: " كَمْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ مَمْقُوتٍ، وَسَاكِتٍ مَرْحُومٍ قَالَ يَحْيَى: هَذَا الْمُسْتَغْفِرُ، وَقَلْبُهُ فَاجِرٌ؛ وَهَذَا سَاكِتٌ، وَقَلْبُهُ ذَاكِرٌ "[(١)]

ويقول حُذَيْفَةُ رضي الله عنه : «بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ، وَبِحَسْبِهِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ، ثُمَّ يَعُودَ»[(٢)]

✍ **والتحقيق**: أن هذا الأمر من شروط قبول الاستغفار، هذا إذا كان الاستغفار بسبب تقصير في واجب، أو وقوع في محرم، فيشترط لصحة الاستغفار عن الذنب: أن يصطحبه المستغفر بقلبه، فيجمع بين الاستغفار باللسان، وتذكر الذنب بالقلب، ليتخلص منه، وليجتث جذوره العالقة في قلبه.

✍ وقال السبكيّ الكبير في "الحلبيات:

"الِاسْتِغْفَارُ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ إِمَّا: بِاللِّسَانِ أَوْ بِالْقَلْبِ أَوْ بِهِمَا

---

(١) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي (ص: ٦٩) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٧٤/٤)

(٢) أخرجه: أبو خيثمة في العلم (١٤) وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ١٣٩/ رقم ٣٤٧٩٩) – ومن طريقه: أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٨١)- وهناد بن السري في الزهد (٢/ ٤٥٨) – وعنه أبو داود في الزهد (٢٦٩)-.

فَالْأَوَّلُ فِيهِ نَفْعٌ لِأَنَّهُ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ وَلِأَنَّهُ يَعْتَادُ قَوْلَ الْخَيْرِ **وَالثَّانِي** نَافِعٌ جِدًّا **وَالثَّالِثُ** أَبْلَغُ مِنْهُمَا لَكِنَّهُمَا لَا يُمَحِّصَانِ الذَّنْبَ – أي: قطعًا، وجزمًا –، حَتَّى تُوجَدَ التَّوْبَةُ فَإِنَّ الْعَاصِيَ الْمُصِرَّ يَطْلُبُ الْمَغْفِرَةَ وَلَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ وُجُودَ التَّوْبَةِ مِنْهُ، ... **إِلَى أَنْ قَالَ:** ... وَالَّذِي ذَكَرْتُهُ مِنْ أَنَّ مَعْنَى الِاسْتِغْفَارِ هُوَ غَيْرُ مَعْنَى التَّوْبَةِ هُوَ بِحَسَبِ وَضْعِ اللَّفْظِ لَكِنَّهُ غَلَبَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّ لَفْظَ "أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ" مَعْنَاهُ التَّوْبَةُ فَمَنْ كَانَ ذَلِكَ مُعْتَقَدَهُ فَهُوَ يُرِيدُ التَّوبَةَ لَا مَحَالَةَ، ... **ثُمَّ قَالَ:** وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالِاسْتِغْفَارِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾[1] وَالْمَشْهُورُ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَطُ."ا.هـ [2]

❑ وقد ذكر بعض أهل العلم من ذوي التحقيق:

أن من لم يتيسر له استجماع القلب مع اللسان، ولكنه:

يجاهد نفسه، إلا أن لسانه يغلب على قلبه، فهذا إن انتفى معه الإصرار، فهو: حسن، بل لا ينهي عنه، بل مطالب من العبد أن يرطب لسانه بالاستغفار على الدوام، لأن الاستغفار عن غفلة خير

(١) سورة هود: (٣).

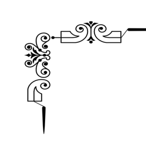
(٢) انظر: قضاء الأرب في أسئلة حلب (ص: ١٧٠) للسبكي، وفتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤٧٢)

من الصمت، وهو طريقة ووسيلة إلى انتباه القلب، فاللسان إذا ألف ذكراً يوشك القلب أن يألفه فيوافقه عليه،

❑ ولذلك من مكائد الشيطان على بني الإنسان: **منعهم من الاستغفار بسبب غفلة القلب**، وقد يبث الوهن في نفوسهم فيثقل عليهم الاستغفار، فليتنبه !!

❑ فالاستغفار على الدوام أمر محمود، وصفة حميدة، ولا يشترط أن يتذكر الإنسان ذنبًا ليستغفر منه، وذلك لأنه عبادة مستقلة بذاتها، فيستغفر الإنسان مما يعلم، ومما لا يعلم، ومما يذكر، ومما نسي، ولقد كان الرسول ﷺ يعلم أصحابه دعاء يقولونه، وهو: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»(١).

(١) أخرجه: أحمد ط الرسالة (٣٢/ ٣٨٣/ رقم ١٩٦٠٦) من حديث أبي موسى رضي الله عنه والبخاري في "الأدب المفرد" رقم (٧١٦) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه وحسنه لغيره الشيخ الألباني كما في صحيح الترغيب (٣٦).



فصل
ما يستغفر العبد منه

❐ إعلم عصمني الله وإياك أن الاستغفار يكون:

* من ترك الواجبات،

* ومن الوقوع في المحرمات،

لا كما يظن البعض أن الاستغفار يكون من اقتراف الخطايا والذنوب فقط،

✍ بل ذهب بعض العلماء إلى أنه ينبغي للمسلم أن يكون استغفاره له عادة، ونفسه إلى الاستغفار منقادة.

✍ يقول ذو النون المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاسْتِغْفَارُ جَامِعٌ لِمَعَانٍ:

١) أَوَّلُهُمَا: النَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى،

٢) الثَّانِي: العَزْمُ عَلَى التَّرْكِ،

٣) وَالثَّالِثُ: أَدَاءُ مَا ضَيَّعْتَ مِنْ فَرْضٍ للهِ،

٤) الرَّابِعُ: رَدُّ المظَالِمِ فِي الأَمْوَالِ وَالأَعْرَاضِ وَالمصَالَحَةُ عَلَيْهَا،

٥) الخَامِسُ: إِذَابَةُ كُلِّ لَحْمٍ وَدَمٍ نَبَتَ عَلَى الحَرَامِ،

٦) السَّادِسُ: إِذَاقَةُ أَلَمِ الطَّاعَةِ كَمَا وَجَدْتَ حَلاَوَةَ المعْصِيَةِ[(١)].

وهذا الكلام يشير إلى أن الاستغفار يدخل في كل جزئية من جزئيات حياة الإنسان!

❐ وقد وقفت على كلامٍ ماتعٍ جامعٍ فصلٍ، لأبي العباس تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ يقرر فيه:

أن الاستغفار كما أنه واجب على من وقع في الذنوب، كذلك هو واجب على من ترك الواجبات فيقول:

" التَّوْبَة وَالِاسْتِغْفَار يَكُونُ مِنْ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ. وَالْأَوَّلُ، يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ. قال تعالى:﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[(٣)]. وقال تعالى: ﴿ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[(٤)]، وقال: ﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ

(١) شعب الإيمان (٩/ ٣٦٥) رقم (٦٧٨٨)
(٢) سورة غافر: (٥٥).
(٣) سورة مُحَمَّد: (١٩).
(٤) سورة الفتح: (٢).

﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾[(١)]. وَمِثْلُ هَذَا فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

فَنَقُولُ: التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ يَكُونُ مِنْ:

* تَرْكِ مَأْمُورٍ
* وَمِنْ فِعْلِ مَحْظُورٍ؛

فَإِنَّ كِلَاهُمَا مِنْ السَّيِّئَاتِ وَالْخَطَايَا وَالذُّنُوبِ. وَتَرْكُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدُ وَالْفَرَائِضُ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ وَالْبَدَنِ مِنْ الذُّنُوبِ بِلَا رَيْبٍ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ الصِّنْفَيْنِ... **فَإِنَّ جِنْسَ تَرْكِ الْوَاجِبَاتِ أَعْظَمُ مِنْ جِنْسِ فِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ** إذْ قَدْ يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ تَرْكُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ **وَمَنْ أَتَى بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ لَمْ يُخَلَّدْ فِي النَّارِ وَلَوْ فَعَلَ مَا فَعَلَ**. وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِالْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ كَانَ مُخَلَّدًا وَلَوْ كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ جِهَةِ الْأَفْعَالِ قَلِيلَةً: كَالزُّهَّادِ وَالْعُبَّادِ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ كَعُبَّادِ مُشْرِكِي الْهِنْدِ وَعُبَّادِ النَّصَارَى؛ وَغَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَقْتُلُونَ وَلَا يَزْنُونَ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ؛ لَكِنَّ نَفْسَ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ الْوَاجِبِ تَرَكُوهُ. **وَلَكِنْ يُقَالُ:** تَرْكُ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ

---

(١) سورة هود: (٢-٣).

الْوَاجِبِ إنَّمَا يَكُونُ مَعَ الِاشْتِغَالِ بِضِدِّهِ وَضِدُّهُ إذَا كَانَ كُفْرًا فَهُمْ يُعَاقَبُونَ عَلَى الْكُفْرِ وَهُوَ مِنْ بَابِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ ضِدُّهُ مِنْ جِنْسِ الْمُبَاحَاتِ كَالِاشْتِغَالِ بِأَهْوَاءِ النَّفْسِ وَلَذَّاتِهَا مِنْ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالرِّئَاسَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَنْ الْإِيمَانِ الْوَاجِبِ. فَالْعُقُوبَةُ هُنَا لِأَجْلِ تَرْكِ الْإِيمَانِ؛ لَا لِأَجْلِ تَرْكِ هَذَا الْجِنْسِ. **وَقَدْ يُقَالُ**: كُلُّ مَنْ تَرَكَ الْإِيمَانَ وَالتَّوْحِيدَ فَلَا يَتْرُكُهُ إلَّا إلَى كُفْرٍ وَشِرْكٍ؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ إلَهٍ تَعْبُدُهُ فَمَنْ لَمْ يَعْبُدِ الرَّحْمَنَ عَبَدَ الشَّيْطَانَ. **فَيُقَالُ**: عِبَادَةُ الشَّيْطَانِ جِنْسٌ عَامٌّ وَهَذَا إذَا أَمَرَهُ أَنْ يَشْتَغِلَ بِمَا هُوَ مَانِعٌ لَهُ مِنْ الْإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ يُقَالُ: عَبَدَهُ. كَمَا أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الشَّيْطَانَ فَقَدْ عَبَدَهُ وَلَكِنْ عِبَادَةٌ دُونَ عِبَادَةٍ.

وَالنَّاسُ نَوْعَانِ: طُلَّابُ دِينٍ وَطُلَّابُ دُنْيَا. فَهُوَ يَأْمُرُ طُلَّابَ الدِّينِ بِالشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ كَعُبَّادِ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ وَيَأْمُرُ طُلَّابَ الدُّنْيَا بِالشَّهَوَاتِ الْبَدَنِيَّةِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «إنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضِلَّاتِ

الْفِتَنِ» [(١)] وَلِهَذَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ الْحَدِيثَ «**لِكُلِّ عَامِلٍ شِرَّةٌ وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَإِنْ صَاحِبهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ وَإِنْ أُشِيرَ إلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ**» [(٢)]. فَقَالُوا: أَنْتَ إذَا مَرَرْت فِي السُّوقِ أَشَارَ إلَيْك النَّاسُ. فَقَالَ: "إنَّهُ لَمْ يَعْنِ هَذَا وَإِنَّمَا أَرَادَ الْمُبْتَدِعَ فِي دِينِهِ وَالْفَاجِرَ فِي دُنْيَاهُ" [(٣)] ... فَإِنَّ تَرْكَ الْوَاجِبِ وَفِعْلَ الْمُحَرَّمِ مُتَلَازِمَانِ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَنْ فَعَلَ مَا نُهِيَ عَنْهُ يُقَالُ: إنَّهُ عَصَى الْأَمْرَ...إلخ [(٤)] ا.هـ

وهذا تقرير عظيم يليق بقامة شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ،

❑ ولذلك الإنسان يستغفر الله تعالى من التقصير في الواجبات، ومن الوقوع في المحرمات.

---

(١) أخرجه: أحمد (٣٣/ ١٨ رقم١٩٧٧٢) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه وهو صحيح. انظر صحيح الترغيب (٥٣و٢١٤٣).

(٢) أخرجه: الترمذي (٢٤٥٣) وابن حبان (٣٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وأخرجه: أحمد (٢/٢١٠،١٨٨، ٢٤٥٣) والطحاوي في المشكل (٢/ ٨٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بسند حسن صحيح.

(٣) انظر: التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (٣٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١١/٦٧٠) وما بعدها.

عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَيْئًا نَفَعَنِي اللَّهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي مِنْهُ، وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ وَصَدَقَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتَوَضَّأُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِذَلِكَ الذَّنْبِ، إِلَّا غَفَرَ لَهُ**» وَقَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(1)، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(2).(3)

---

(١) سورة النساء: (١١٠).

(٢) سورة آل عمران: (١٣٥).

(٣) أخرجه: أحمد(١/١٧٩)؛ وأبو داود (١٥٢١)؛ والترمذي (٤٠٦) وحسنه؛ وابن ماجة (١٣٩٥). وانظر: صحيح ابي داود (٥/٢٥٢).

❑ **ومن الأشياء المحرمة التي كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يستغفرون الله منها:**

بعض الواردات والفلتات على الفكر والقلب والنفس واللسان،

✍ وذكر عن بشر بن الحارث، رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه حدث فقال:

حدثنا حماد بن زيد؛ ثم قال: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِنَّ لِذِكْرِ الْإِسْنَادِ فِي الْقَلْبِ خُيَلَاءَ»[(١)]

✍ والشافعي، رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: «مَا نَاظَرْتُ أَحَداً فِي الكَلاَمِ إِلاَّ مَرَّةً، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ ذَلِكَ»[(٢)]

بل بلغوا أبعد من ذلك فلقد كانوا يستغفرون في اللحن في القول، والإعراب في القراءة،

✍ يقول الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ: لَحَنَ أَيُّوبُ –السختياني– فِي حَرْفٍ، فَقَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ».[(٣)]

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ٣٣٨).
ومعجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ١٧٤)

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٩)

(٣) مسند ابن الجعد (١٢٥٧)

❑ قلت: وإن مما يجب الاستغفار منه:

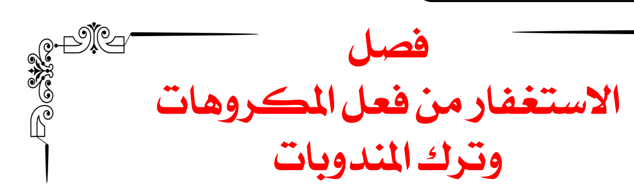
رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ على سبيل النشر والتسليم، لا على سبيل التحذير؛ فقد عد العلماء هذا من الكبائر، ولقد كان الأئمة يأمرون من أسند حديثًا ضعيفًا أن يستغفر الله مما وقع فيه، فكيف بمن يروي الموضوعات!!

يقول الترمذي: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ الحَسَنِ يَقُولُ: كُنَّا عِنْدَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فَذَكَرُوا عَلَى مَنْ تَجِبُ الجُمُعَةُ، فَلَمْ يَذْكُرْ أَحْمَدُ فِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الحَسَنِ: فَقُلْتُ لِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: فِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، -وأسنده أحمد بن الحسن عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: «**الجُمُعَةُ عَلَى مَنْ آوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى أَهْلِهِ**»-[(١)]... قَالَ: فَغَضِبَ عَلَيَّ أَحْمَدُ وَقَالَ: اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ اسْتَغْفِرْ رَبَّكَ.

قال الترمذي: إِنَّمَا فَعَلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ هَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يَعُدَّ هَذَا الحَدِيثَ شَيْئًا وَضَعَّفَهُ لِحَالِ إِسْنَادِهِ ا.هـ[(٢)]

(١) قال الترمذي: وَهَذَا حَدِيثٌ إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، إِنَّمَا يُرْوَى مِنْ حَدِيثِ مُعَارِكِ بْنِ عَبَّادٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، وَضَعَّفَ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ القَطَّانُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعِيدٍ المَقْبُرِيَّ، فِي الحَدِيثِ ا.هـ سنن الترمذي ت شاكر (٢/ ٣٧٥)

(٢) سنن الترمذي ت شاكر (٢/ ٣٧٦) رقم (٥٠٢) وانظر: العلل الصغير للترمذي أيضا (ص: ٧٣٩).



فصل
الاستغفار من فعل المكروهات وترك المندوبات

❑ **فهل: من تعمد ترك السنن، والوقوع في المكروهات يحتاج إلى استغفار؟**

حينما نرجع إلى علماء الأصول وهم يُعَرِّفون المسنون والمكروه، فيقولون:

○ **المسنون**: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه.

○ **والمكروه**: ما يثاب تاركه ولا يعاقب فاعله.

يظهر لنا في بادي النظر أنهما لا يحتاجان إلى استغفار!

لكن ذكر القرافي الصنهاجي رَحِمَهُ اللَّهُ: -تحت (القاعدة الخامسة والعشرون في الاستغفار) – تقريرًا جيدًا في هذه المسألة، وهو يفسر كلام الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة تفسيرًا علميًا جيدًا.

✍ فقال ما مختصره:

○ اعْلَمْ أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ طَلَبُ الْمَغْفِرَةِ. وَهَذَا إنَّمَا يَحْسُنُ مِنْ أَسْبَابِ الْعُقُوبَاتِ:

* كَتَرْكِ الْوَاجِبَاتِ

* وَفِعْلِ الْمُحَرَّمَاتِ؛

○ أَمَّا:

* الْمَكْرُوهَاتُ

* وَالْمَنْدُوبَاتُ

* وَالْمُبَاحَاتُ

فَلَا يَحْسُنُ الِاسْتِغْفَارُ فِيهَا لِعَدَمِ الْعُقُوبَاتِ فِي فِعْلِهَا وَتَـرْكِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ لَا خَفَاءَ فِيهِ

○ غَيْرَ أَنَّهُ وَقَعَ لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَنْ تَرَكَ الْإِقَامَةَ أَنَّهُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى، **وَوَجْهُ ذَلِكَ**:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

* أَحَدُهَا الْمُؤْلِمَاتُ كَالنَّارِ وَغَيْرِهَا.

* وَثَانِيهَا تَيْسِيرُ الْمَعْصِيَةِ فِي شَيْءٍ آخَرَ

* وَثَالِثُهَا تَفْوِيتُ الطَّاعَاتِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[١]

○ وَكَمَا يُعَاقِبُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، يُثِيبُ أَيْضًا بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ:

* أَحَدُهَا: الْأُمُورُ الْمُسْتَلَذَّةُ

* وَثَانِيهَا: تَيْسِيرُ الطَّاعَاتِ

---

(١) سورة الأعراف: (١٤٦).

* وَثَالِثُهَا: تَعْسِيرُ الْمَعَاصِي عَلَيْهِ وَصَرْفُهَا عَنْهُ

○ **إِذَا تَقَرَّرَتْ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ:**

فَإِذَا نَسِيَ الْإِنْسَانُ الْإِقَامَةَ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ الْمَنْدُوبَاتِ دَلَّ هَذَا الْحِرْمَانُ عَلَى: أَنَّهُ مُسَبَّبٌ عَنْ مَعَاصٍ سَابِقَةٍ.

○ وَإِذَا كَانَ تَرْكُ الطَّاعَاتِ مُسَبَّبًا عَنْ الْمَعَاصِي الْمُتَقَدِّمَةِ فَحِينَئِذٍ إذَا رَأَى الْمُكَلَّفُ ذَلِكَ:

سَأَلَ الْمَغْفِرَةَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَاصِي الْمُتَقَدِّمَةِ حَتَّى لَا يَتَكَرَّرَ عَلَيْهِ مِثْلُ تِلْكَ الْمُصِيبَةِ،

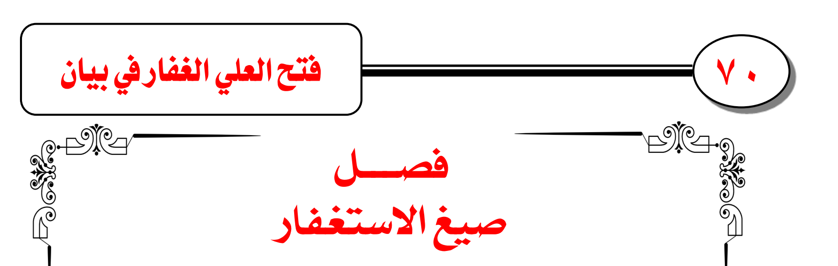
فَالِاسْتِغْفَارُ عِنْدَ تَرْكِ الْإِقَامَةِ لِأَجْلِ غَيْرِهَا لَا أَنَّهُ لَهَا،

○ وَكَذَلِكَ بَقِيَّةُ الْمَنْدُوبَاتِ إذَا فَاتَتْ يَتَعَيَّنُ عَلَى الْإِنْسَانِ الِاسْتِغْفَارُ لِأَجْلِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ التَّرْكُ مِنْ ذُنُوبٍ سَالِفَةٍ.

○ فَهَذَا هُوَ وَجْهُ أَمْرِ مَالِكٍ رحمه الله تَعَالَى بِالِاسْتِغْفَارِ فِي تَرْكِ الْمَنْدُوبَاتِ لَا أَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّ الِاسْتِغْفَارَ مشرُوع مِنْ تَرْكِ الْمَنْدُوبَاتِ ولا إشكالَ على هذا، واللهُ أعلم(١).

---

(١) الفروق (٢/٢٥٥-٢٥٦)



فصـــل
صيغ الاستغفار

❏ ورد الاستغفار في نصوص القرآن والسنة بصيغ متعددة، سبق ذكر بعض منها على سبيل الإجمال،

❏ واستعمال واحد من هذه الصيغ مجزئ في تحقيق الغرض والمقصود، **إلا ما جاء النص على صيغتها بأنها خاصة ببعض العبادات، أو في بعض الأوقات، فهذه ينبغي التقيد بألفاظها،** ومكان بيانها سأذكره في الحديث عن أنواع الاستغفار المقيد،

❏ وهنا أذكر **بعض الصيغ الواردة في السنة النبوية**، وما جاء أيضًا مطلقًا، **وهو ينقسم إلى قسمين:**

* استغفار الإنسان لنفسه،
* واستغفار الإنسان لغيره.

❏ أما الأول: فمنه:

١. دعاء **سَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ**، وهو: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا**

اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»(١)

٢. ومنه: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»(٢)

٣. ومنه: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» وفي رواية: «...، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الغَفُورُ»(٣)

٤. ومنه: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ»

وفي رواية: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»(٤)

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٠٦) من حديث شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: سَيِّدُ الاِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: فذكره... قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»

(٢) أخرجه: أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٧) من حديث زَيْدٍ، مَوْلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " مَنْ قَالَ: ...فذكره، غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ" وله شواهد جمعها العلامة الألباني في الصحيحة (٢٧٢٧)

(٣) تقدم تخريجه (ص ٤٣)

(٤) أخرجه: مسلم (٤٨٤) وأحمد (٢٤٥٦٦) وابن حبان (٦٤١١) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أنه كان يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ ذلك قبل موته صلى الله عليه وسلم. وانظر: الصحيحة (٣١٥٧)

٥. ومنه: «أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ»(١)

٦. ومنه: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِي»(٢)

٧. ومنها: «غُفْرَانَكَ غُفْرَانَكَ »(٣)

❑ وأما النوع الثاني وهو الاستغفار للغير؛ كالوالدين والمؤمنين والمؤمنات فيبدأ بنفسه أولًا ثم يستغفر لوالديه، أو للمؤمنين والمؤمنات، وهكذا.

فقد روى عبد الرزاق في مصنفه: عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَطَاءٍ: أَسْتَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ؟ قَالَ: " نَعَمْ، قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ الْوَاجِبُ عَلَى النَّاسِ، قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ:

---

(١) في صحيح مسلم (١٣٥/٥٩١) عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وقيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ: "كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ.

(٢) شواهده كثيرة مشهورة، ومنها حديث عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: ...لمَّا مَرِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَثَقُلَ، ... قَالَ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْعَلْنِي مَعَ الرَّفِيقِ الْأَعْلَى**» قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى. متفق عليه، البخاري (٤٤٤٠، ٥٦٧٤) ومسلم (٢١٩١).

(٣) انظر: صحيح مسلم (١٢٥/١٩٩) فيما ورد في سبب نزول الآيات من آخر سورة البقرة.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾. قُلْتُ: أَفَتَدَعُ ذَلِكَ فِي الْمَكْتُوبَةِ أَبَدًا؟ قَالَ: «لَا» قُلْتُ: فَبِمَنْ تَبْدَأُ، بِنَفْسِكَ أَمْ بِالْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: بَلْ بِنَفْسِي كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(١)]".[(٢)]

❑ **قلت**: ولأنَّ هذه هي طريقة الأنبياء كما قص الله علينا من أخبارهم، قال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾[(٣)]، وقال تعالى عن التابعين ومن تبعهم بإحسان وهم يستغفرون للسلف الصالح: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[(٤)].

✍ قال ابن رجب غَفَرَ اللَّهُ لَهُ: "وَأَفْضَلُ أَنْوَاعِ الِاسْتِغْفَارِ:

* أَنْ يَبْدَأَ الْعَبْدُ بِالثَّنَاءِ عَلَى رَبِّهِ،
* ثُمَّ يُثَنِّيَ بِالِاعْتِرَافِ بِذَنْبِهِ،
* ثُمَّ يَسْأَلَ اللَّهَ الْمَغْفِرَةَ

---

(١) سورة مُحَمَّد: (١٩).

(٢) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٢/ ٢١٧) رقم (٣١٢٢)

(٣) سورة نوح: (٢٨).

(٤) سورة الحشر: (١٠).

كَمَا فِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**» خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ[(١)]. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»[(٢)].[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٧١)

(٢) صحيح البخاري (٨٣٤)، وصحيح مسلم (٢٧٠٥/٤٨)

(٣) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل (٣/ ١١٧٠).

❐ **فائدة:**

وهنا فائدة متعلقة بلفظة قد نهى الشارع عن استعمالها حال الدعاء والاستغفار، وهي: ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لَا مُكْرِهَ لَهُ**» وفي رواية: «... **وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**»(١)

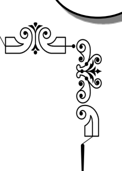
✍ قال العلماء: وفيه دليل على قلة اهتمامه في طلب المغفرة، وأن قوله هذا متضمن: "استغناءه عن ربه"، و"عدم اكتراثه بذنبه"،

○ **وهو مما يتنافى مع التوحيد الواجب**، وأرشده الرسول ﷺ: إلى تعظيم الرغبة، فإن الله لا يتعاظمه شيء، وإلى العزم في المسألة، فإن الله لا مستكره له.(٢).

---

(١) صحيح البخاري (٦٣٣٩، ٧٤٤٧)، وصحيح مسلم -واللفظ له،(٢٦٧٩/٨و٩) والرواية الأخرى لمسلم أيضا.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد (ص: ٥٦٦)، حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٤٣)

فصـــل
أنواع الاستغفار

❐ باستقراء نصوص الكتاب والسنة، وبالنظر في شروحات أهل العلم، أخلص إلى أن الاستغفار له أنواع تختلف على حسب وروده وسياقة في النصوص الشرعية.

○ **فهو باعتبار جنسه على نوعين:**

* أحدهما: الاستغفار في القول، ومثاله: ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[١]

* الثاني: الاستغفار في العمل، ومثاله ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[٢] ومعناه: أن يعملوا عمل الغفران، وهذا أحد أوجه التفسير الواردة في هذه الآية.

✍ قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الاستغفار عَلَى نحوين:

* أحدهما: فِي القول،

---

(١) سورة النساء: (٦٤).

(٢) سورة الأنفال: (٣٣).

* والآخر فِي العمل،

○ فأما استغفار القول: فإن الله يَقُول:

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ ﴾ (١)

○ وأما استغفار العمل، فإن الله عَزَّ وَجَلَّ: يَقُول:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (٢)

فعنى بِذَلِكَ: أن يعملوا عمل الغفران، وقد علمت أن أناسا سيدخلون النار وهم يستغفرون الله بألسنتهم ممن يدعي الإسلام، ومن سائر الملل". (٣)

○ وأما باعتبار وقته وزمانه فهو على نوعين أيضًا:

* الأول: الاستغفار المطلق، وهو الاستغفار الذي ليس له وقت محدد، فجميع الأوقات محل للاستغفار، مثل ما كان النبي ﷺ يفعله،

---

(١) سورة النساء: (٦٤).

(٢) سورة الأنفال: (٣٣).

(٣) تفسير ابن المنذر (٢/ ٧٧٤) وتفسير ابن أبي حاتم (٥٥٥٧).

فلقد كان يستغفر الله على جميع أحواله، وقد «كان ﷺ يُعَدُّ عَلَيْهِ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ قول أستغفر الله وأتوب إليه»[١]

❑ **ولذلك ينبغي للمسلم:**

أن يجعل الاستغفار ديدنه وهجيراه، وأن يرطب به لسانه في الصباح والمساء، وفي الخلوة والجلوة، لأنه بالاستغفار:

- تزكو النفس وتطهر،
- ويحصل له من التعلق بربه الشيء الذي يدفعه إلى فعل الخيرات، في جميع الأوقات والساعات،
- وحينما يعتاد اللسان الاستغفار فإن القول الحسن سيكون له عادة ونفسه إلى اللهج به منقادة،
- وبإدمان الإستغفار يترقى العبد في مدارج الكمال، بإذن الله تعالى، فالحسنة تقول: أختي .. أختي .

* والثاني: استغفار مقيد. وهذا الاستغفار المقيد على ضربين:

- الأول: تقييد ألفاظ.
- والثاني: تقييد وقت وزمان.

---

(١) سبق تخريجه.

أما الضرب الأول:

فقد وردت نصوص فيها التقيد بألفاظ الاستغفار وعدده، مثل: الاستغفار بعد الصلاة ثلاثًا، فإن السنة التزام العدد، فلا يزيد ولا ينقص.

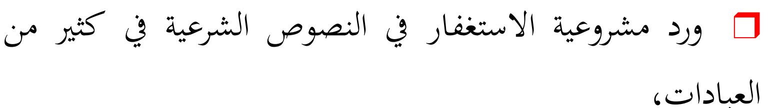
وأما الضرب الثاني:

فهو التقيد بالوقت، ويرد المثال السابق أيضًا في مثل هذه المسألة، في كون الاستغفار ثلاثًا موظف بعد الانتهاء من صلاة الفرض مباشرة.

والفصل القادم يخدم هذه المسألة بحيث يطلعك على أعداد الاستغفار، وزمانه، وأيضًا بعض صيغ الاستغفار.




فصل
الاستغفار في العبادات



❑ ورد مشروعية الاستغفار في النصوص الشرعية في كثير من العبادات،

وقد رأيت من المناسب ذكرها مرتبة على حسب ترتيب الفقهاء لأبواب الكتب الفقهية:

[١] أبواب الطهارة:

أ- الاستغفار عقب الخروج من الخلاء:

فيسن للمسلم أن يستغفر الله تعالى بعد الانتهاء من قضاء الحاجة[١]. فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلَاءِ قَالَ: «**غُفْرَانَكَ**»[٢] وهذه أحد صيغ الاستغفار الثابتة عن النبي ﷺ. **ووجه سؤال المغفرة في مثل هذه الحالة:**

- أن الإنسان لما تخفف من أذية الجسم، ناسب أن:

---

(١) انظر: المغنى (١ / ١٦٨) الكافي لابن عبد البر (١ / ١٧٢) حاشية ابن عابدين (١ / ٢٣٠) والفواكه الدواني (٢ / ٤٣٤).

(٢) أخرجه: أبو داود (٣٠) والترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠) والنسائي في الكبرى (٩٨٢٤) وقال الترمذي: حسن غريب.

يتذكر أذية الإثم، فدعا الله أن يخفف عنه أذية الإثم، كما أعانه بتخفيف أذية الجسم، **وقيل** في مناسبة الاستغفار في هذه الحال:

إظهار العجز عن شكر النعمة في:

* تيسير الغذاء،
* وإيصال منفعته،
* وإخراج فضلته،
* وإبقاء قوته في جسد العبد، والله أعلم[(١)]

ب- الاستغفار بعد الوضوء[(٢)]:

فيسن للمسلم أن يستغفر الله عند إتمام الوضوء، لما روى أبو سَعِيدٍ الخُدريّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَقَالَ: سُبْحَانَكَ اللهُمَّ، وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، كُتِبَ فِي رَقٍّ ثُمَّ طُبِعَ بِطَابَعٍ فَلَمْ يُكْسَرْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[(٣)]

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٤/ ٣٧٣).

(٢) انظر: حاشية ابن عابدين (١/٨٧) ومدارج السالكين (١/١٧٦).

(٣) أخرجه: النسائي (٨٣) في عمل اليوم والليلة. وانظر صحيح الترغيب (٢٢٥).

[٢] في أبواب الصلاة

ورد الاستغفار في أحوال ومواطن كثيرة في الصلاة من ذلك:

أ- الاستغفار عند الدخول والخروج من المسجد:

فقد استحب أهل العلم(١) للمسلم أن يستغفر الله عند دخول المسجد، وعند الخروج منه، كما هو الوارد في حديث فاطمة، رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**»، وإذا خرج قال: «**اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك** »(٢).

ب- الاستغفار في أول الصلاة وآخرها وأثنائها(٣):

فيسن للمصلي أن يستغفر الله تعالى في:

---

(١) انظر: كشاف القناع (١/٣٠١) ومنح الجليل (١/٦٥) وشرح ميارة الصغير (٢/١٣٧) ومراقي الفلاح (ص٢١٥).

(٢) أخرجه: أحمد (٦/٢٨٣) وابن ماجه (٧٧١) بألفاظ متقاربة. وصححه العلامة الألباني في تخريجه لكتاب " فضل الصلاة على النبي ﷺ": للإمام إسماعيل بن إسحاق الجهضمي المالكي (ص٧٢) وقال: (صحيح لشواهده)، وأوردها.

(٣) انظر المسألة في: المغني (١/٤٧٤) والمجموع للنووي (٣/٦١٣) والكلم الطيب لابن القيم (ص٢٢٠) والكافي لابن عبد البر (١/٢٠٦).

أول الصلاة، وفي آخرها، في أثنائها،

* ففي أول الصلاة:

جاء الاستغفار في بعض الروايات المتعلقة بدعاء الاستفتاح، ومنها: عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في استفتاحه: «**اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تبارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»[(١)].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول الله أكبر عشر مرات، ثم يسبح عشر مرات، ثم يحمد عشر مرات، ثم يهلل عشرًا، ثم يستغفر عشرًا، ثم يقول «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي**

---

(١) أخرجه: مسلم (٧٧١).

وَعَافِنِي، عشرًا »، ثم يقول: اللهم إني أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشرًا »[(١)].

والذي يظهر: أن هذا النوع من الدعاء، كان يقوله ﷺ في افتتاح قيام الليل؛ كما ذكر ذلك ابن القيم وغيره[(٢)].

* وأما في أثنائها:

- فقد ثبت أن النبي ﷺ كان يستغفر الله في ركوعه وسجوده، فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: **كَانَ رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي " يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ**[(٣)].

أي: يحقق قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾[(٤)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: فِي سُجُودِهِ:

---

(١) أخرجه: أحمد (٢٥٦١٥) وأبو داود (٧٦٦) و ابن حِبان (٢٦٠٢) والطبراني في "الأوسط" رقم (٨٤٢٧).

(٢) انظر: زاد المعاد (٢٠٣/١).

(٣) أخرجه: البخاري (٧١٧) ومسلم (٤٨٤).

(٤) سورة النصر: (٤).

«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ دِقَّهُ، وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ»(١)

■ **وفي الجلوس بين السجدتين:** يشرع الاستغفار: بل أوجبه بعض أهل العلم، وهو: الصحيح(٢)، لحديث حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ، رضي الله عنه أنه صلى مع النبي ﷺ فكَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: **«رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي»**(٣).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، **وَاجْبُرْنِي**، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»(٤).

* ويسن الاستغفار: قبل السلام من الصلاة في آخر التحيات:

لما جاء عن أَبِي مُوسَى الأشعري رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ: **«اللهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي**

---

(١) أخرجه: مسلم (٤٨٣).

(٢) انظر المسألة في: المغني لابن قدامة (١/٥٠٣)

(٣) أخرجه: أبو داود (٨٧٤) النسائي (١١٤٥) وابن ماجه (٨٩٧).

(٤) أخرجه: الترمذي (٢٨٤) وهذا لفظه وأبو داود (٨٥٠) ولفظه: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي **وَعَافِنِي** وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي » وابن ماجه (٨٩٨) بلفظ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَارْزُقْنِي **وَارْفَعْنِي**» والحديث حسنه الألباني في "أصل صفة الصلاة" (٣/٨٠٩).

أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»(١).

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصديق رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: «**قُلِ اللهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٢)

* ويسن الاستغفار عقب الصلاة ثلاثًا،

لما روى ثَوْبَانُ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «**اللهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» قيل لِلْأَوْزَاعِيِّ — وهو أحد رواة الحديث-: «كَيْفَ الْاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ»(٣).

---

(١) أخرجه: البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩).
(٢) أخرجه: البخاري (٨٣٤ و٦٣٢٦) ومسلم (٢٧٠٥).
(٣) أخرجه: مسلم (٥٩١).

ج- الاستغفار في قنوت الوتر:

فَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، يَأْثِرُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فِي الْقُنُوتِ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَانْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، اللَّهُمَّ الْعَنْ كَفَرَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ وَيُقَاتِلُونَ أَوْلِيَاءَكَ، اللَّهُمَّ خَالِفْ بَيْنَ كَلِمَتِهِمْ، وَزَلْزِلْ أَقْدَامَهُمْ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا تَرُدُّهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنَّا، نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ وَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَرْجُو رَحْمَتَكَ، وَنَخَافُ عَذَابَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحَقٌ»(١)

وعَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِينُكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ، وَنُثْنِي عَلَيْكَ فَلَا نَكْفُرُكَ، وَنَخْلَعُ وَنَتْرُكُ مَنْ يَفْجُرُكَ، اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ، وَلَكَ نُصَلِّي وَنَسْجُدُ، وَإِلَيْكَ

---

(١) أخرجه: عبد الرزاق، في المصنف (رقم ٤٩٦٩/ط المكتب الإسلامي)

نَسْعَى وَنَحْفِدُ، نَخْشَى عَذَابَكَ، وَنَرْجُو رَحْمَتَكَ، إِنَّ عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحَقٌ»[(١)]

د- ويندب الاستغفار في صلاة الاستسقاء:

قال الله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[(٢)]، فدلت الآية على أن الاستغفار وسيلة للسقيا، بدليل قوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾، ولم تزد الآية على الاستغفار، وقد فهم هذا المعنى الصحابة رضي الله عنهم

فقد ورد عن عمر رضي الله عنه أنه خرج إلى الاستسقاء، وصعد المنبر، واستغفر الله، ولم يزد عليه؛ فقالوا: ما استسقيت يا أمير المؤمنين؛ فقال: لقد استسقيت ربي بِمَجَادِيحِ[(٣)] السَّمَاءِ الَّتِي تُسْتَنْزَلُ بِهَا الْمَطَرُ.[(٤)].

---

(١) أخرجه: عبد الرزاق، في المصنف (رقم ٤٩٧٠/ط المكتب الإسلامي)

(٢) سورة نوح: (١٠-١١).

(٣) قال ابن الأثير في النهاية (١/ ٢٤٣): المِجَادِيح: واحِدُها مِجْدَح، ... وَهُوَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنَ الأنْواء الدَّالَّة عَلَى المِطر، فَجعل الاستِغفار مُشَبَّهاً بِالْأَنْوَاءِ، مُخاطَبَة لَهُمْ بِمَا يَعْرِفُونَهُ، لَا قوْلاً بالأنْواء. وَجَاءَ بِلَفْظِ الجمْع لِأَنَّهُ أَرَادَ الأنْواء جَمِيعَها الَّتِي يَزْعُمون أنَّ من شأنِها المِطَر ا.هـ

(٤) أخرجه: عبدالرزاق، في المصنف (٤٩٥٣) وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح (٩٨/١١) وانظر المسألة في: المغني مع الشرح الكبير (٢٩١/٢)، والمجموع للنووي (٩١/٥).

وعَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ فِي الِاسْتِسْقَاءِ: «إِذَا خَرَجْتُمْ فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلَهُ، وَصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَاسْتَغْفِرُوا فَإِنَّ الِاسْتِسْقَاءَ الِاسْتِغْفَارُ». وَقَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: إِنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ قَائِمٌ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ.[1]

وكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ رحمهما الله:

"إِنِّي كَتَبْتُ إِلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَنْ يَخْرُجُوا يَوْمَ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا لِيَسْتَسْقُوا، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَصُومَ وَيَتَصَدَّق فَلْيَفْعَلْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾[2]

وَقُولُوا كَمَا قَالَ أَبَوَاكُمْ عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[3]

وَقُولُوا كَمَا قَالَ نُوحٌ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]

---

(١) أخرجه: عبدالرزاق، في المصنف (٤٩٥٥)

(٢) سورة الأعلى: (١٤-١٥).

(٣) سورة الأعراف: (٢٣).

(٤) سورة هود: (٤٧).

وَقُولُوا كَمَا قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[(١)]

وَقُولُوا كَمَا قَالَ يُونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[(٢)].[(٣)].

هـ- ويسن الاستغفار في صلاة الجنازة:

فقد ورد الاستغفار في صلاة الجنازة للميت في أحاديث منها:

عنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ**...»[(٤)]

✍ وعن ابْنُ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَقُلْتُ لَهُ: «مَا أَفْضَلُ مَا يُقَالُ عَلَى الْمَيِّتِ؟ فَقَالَ: الِاسْتِغْفَارُ»[(٥)]

---

(١) سورة القصص: (١٦).

(٢) سورة الأنبياء: (٨٧).

(٣) عبد الرزاق في المصنف (٤٩٥٤)

(٤) أخرجه: مسلم (٩٦٣). وانظر المسألة في: المغني مع الشرح الكبير (٢/٣٨٥). والمجموع للنووي (٥/٢٩٤).

(٥) أخرجه: عبد الرزاق في المصنف (٦٥٤٣) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٤).

و- الاستغفار في بداية الخطب الدينية وغيرها.

○ وهي: المسماة: بـ"**خطبة الحاجة**"، فيستحب للمسلم أن يستفتح خطبه وحديثه بهذه الخطبة، والمشتملة على:

* الحمد والتعظيم لذي الأسماء الحسنى والصفات العلى،
* واستغفاره،
* والتعوذ به من الشرور،
* وسؤاله الهداية،
* والشهادة له بالتوحيد ولنبيه بالرسالة،

○ وصفتها:

«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»[(١)].

---

(١) أخرجه: أحمد (١/٣٥٠) وابن ماجه (١٨٩٢) وغيرهما، من حديث عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

[٣] في باب الصيام

❑ يستحب للصائم:

○ الاستغفار على الدوام، وفي جميع الأوقات؛ لعمومات الأدلة، **ويتأكد عند نهاية صومه**، فإذا أراد الإفطار استحب له أن يستغفر الله تعالى؛ فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما، قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ**» قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رضي الله عنهما، يَقُولُ إِذَا أَفْطَرَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي"[(١)].

[٤] في باب الحج

❑ يسن للحاج أن يكثر من الاستغفار في جميع الأوقات، وسائر الأماكن والمشاعر: كمنى، وعرفات، ومزدلفة؛ لعمومات الأدلة،

❑ ويتأكد في ختام أعمال الحج؛ لقوله تعالى:

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ ﴾ إلى قوله

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (١٧٥٣) وابن السني (٤٨٢).

تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١].

❒ ونلحظ أن غالب العبادات يشرع الاستغفار في أولها وفي آخرها، والحكمة من ذلك، والله أعلم:

o أن العبد لابد أن يحصل منه نوع تقصير،

فمهما اجتهد وحرص على كمال الطاعة وتمام العبادة، فلن يبلغ؛

فيأتي الاستغفار:

* ليرقع الخرق،
* وليجبر الكسر،
* وليكمل النقص،

فعلى هذا تتم الطاعة، وتكتمل القربة.

○ أن العبد عندما يستغفر في أول العبادات وعقبها، إنما:

يشعر نفسه على الدوام بالتقصير في معاملته مع ربه،

وهذا الأمر يورث العبد:

* السعي للحصول على مرضاة الله،

---

(١) سورة البقرة: (١٨٨- ١٩٩).

* والترقي في مدارج الكمال.

○ أن أهم شيء يجب أن ينتبه له العبد هو:

الحذر من مداخل الشيطان، فقد يؤدي العبد عبادة معينة، فيأتيه الشيطان فينفخ في جيبه بالأوهام، ويفتح عليه أبواباً من الغرور، والرياء، والاستعلاء الذي قد يهلكه،

فيأتي الاستغفار:

* الذي به يشعر العبد استصغار نفسه، واستقلال عمله،

* وأنه ضعيف فقير محتاج بجوار الغني العظيم القوي،

فيبدد كل ما ينسجه الشيطان مما فيه هلاك المسلم ترديه،

فلله الحمد على نعمه الكثيرة

فصل
الاستغفار للغير

❐ الاستغفار: عبادة مشروعة، ومن أحكامها:

▪ جواز استغفار:

* الأعلى للأدنى،
* والأدنى للأعلى،
* والحي للميت،
* والشريف للوضيع،
* والوضيع للشريف، وهكذا،

▪ وأن هذا الاستغفار نافع بإذن الله.

○ استغفار النبي ﷺ لأمته عمومًا:

قال الله تعالى:﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[(١)]،

فأمر الله نبيه ﷺ بالاستغفار لنفسه أولاً، وللمؤمنين والمؤمنات ثانياً، فكان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يستغفر لأمته كثيرًا.

○ استغفار النبي ﷺ للتائبين في حياته:

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[(٢)]،

---

(١) سورة مُحَمَّد: (١٩).
(٢) سورة النساء: (٦٤).

وفيه دليل على أن الاستغفار للناس ابتداءً، أو طلبًا من الحي القادر الموجود نافعهم ولاحق بهم.

○ استغفار النبي ﷺ للأموات من أصحابه:

فقد ورد في السنة من أكثر من وجه وطريق مشروعية الاستغفار للأموات، وقد تنوع استغفار النبي ﷺ للأموات، منها:

■ عند وفاة المسلم:

فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: ... لَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ رضي الله عنه أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: « قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ» "[(١)]

■ وفي صلاة الجنازة:

وقد ورد الاستغفار للميت في أحاديث كثيرة منها:

عنْ عَوْف بْن مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ، اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ**...»[(٢)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:

---

(١) أخرجه: مسلم (٩١٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص: ٩٠)

صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا،** ...»(١)

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ رضي الله عنه، قَالَ:

صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «... **اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(٢)

- وبعد الدفن:

فيندب عقب دفن الميت المسلم أن يقف جماعة يستغفرون الله له، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»(٣)

- والاستغفار للميت في جميع الأوقات:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

---

(١) أخرجه: الترمذي (١٠٢٤) وأبو داود (٣٢٠١) وابن حبان (٣٠٧٠).

(٢) أخرجه: أبو داود (٣٢٠٢) وابن ماجه (١٤٩٩) وأحمد (٣/٤٩١).

(٣) أخرجه: أبو داود (٣٢٢١).

«**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[(١)]

○ تخصيص الأرحام ممن مات بالاستغفار:

وفي استغفار نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ لوالديه، في قوله: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[(٢)] وكذلك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لوالديه في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[(٣)] **تنبيه لكل مؤمن** على أن الاستغفار لهما حق باقٍ عليه لوالديه ولو بعد وفاتهما، إلا أن يموتا على الكفر، فلا وجه لاستغفاره لهما، وهذا الاستغفار لهما يصلهما في قبريهما، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ**»[(٤)]

○ الاستغفار للسلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ومما يتميز به أهل السنة والجماعة الاستغفار للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وكثرة الترضي عنهم، وذكرهم بالجميل، وعدم التعرض لهم قال الله تعالى:

---

(١) أخرجه: ابن ماجه (٣٦٦٠م) وأحمد (١٠٦١٠)
(٢) سورة نوح: (٢٨)
(٣) سورة إبراهيم: (٤١)
(٤) تقدم.

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[(١)]

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالتْ:

«أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَسَبُّوهُمْ»[(٢)]

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما :

أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا وَهُوَ يَتَنَاوَلُ بَعْضَ الْمُهَاجِرِينَ، -**وفي رواية:** أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلًا نَالَ مِنْ عُثْمَانَ رضي الله عنه فَدَعَاهُ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ-؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ﴾[(٣)] الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرُونَ أَفَمِنهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَا،

ثم قرأ عليه: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ ﴾[(٤)] الْآيَةَ. ثُمَّ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ أَفَأَنْتَ مِنْهُمْ؟ قَالَ: لَا،

ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾[(٥)] الْآيَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَفَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْتَ؟ قَالَ: أَرْجُو،

---

(١) سورة الحشر: (١٠)
(٢) أخرجه: مسلم (٣٠٢٢)
(٣) سورة الحشر: (٨)
(٤) سورة الحشر: (٩)
(٥) سورة الحشر: (١٠)

قَالَ: "لَيْسَ مِنْ هَؤُلَاءِ من سبّ هؤلاء"

وفي رواية: قال: "لا وَاللَّهِ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مَنْ يَتَنَاوَلُهُم وَكَانَ فِي قَلْبِهِ الْغُلّ عَلَيْهِم"[(١)].

○ استغفار الأحياء للأحياء:

أما الأحياء، فقد جاءت نصوص كثيرة، تدل على مشروعية استغفار الأحياء للأحياء، ومشروعية طلب ذلك فيما بينهم، سواء كان بسبب أو بغير سبب. من ذلك:

يقول الله تعالى:﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[(٢)]،

وقال تعالى:﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ﴾[(٣)]،

وقال تعالى:﴿فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[(٥)]،

---

(١) أخرجه: ابن مردويه كما في الدر المنثور (١١٣/٨)

(٢) سورة آل عمران: (١٥٩).

(٣) سورة الفتح: (١١).

(٤) سورة النور: (٦٢).

(٥) سورة الممتحنة: (١٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾[(١)]،

وقد أرشد النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن يحرص على مقابلة رجل من أهل اليمن، اسمه: أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ القرني، وأن يطلب منه أن يستغفر له فقال ﷺ: «... **لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» ... فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي... فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.[(٢)]

❐ وقد أرشد النبي ﷺ، المسلم إذا أكل من طعام أخيه أن يستغفر ويدعو له؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنهما، قَالَ: نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِيْ، قَالَ: فَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ طَعَامًا وَوَطْبَةً، فَأَكَلَ مِنْهَا، ... ثُمَّ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَهُ، ... قَالَ: فَقَالَ أَبِيْ: وَأَخَذَ بِلِجَامِ دَابَّتِهِ، ادْعُ اللهَ لَنَا، فَقَالَ: «**اللهُمَّ، بَارِكْ لَهُمْ فِي مَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**»[(٣)]

---

(١) سورة المنافقون: (٥).
(٢) أخرجه: مسلم (٢٥٤٢/٢٢٥) عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، عن عُمَر رضي الله عنه .
(٣) أخرجه: مسلم (٢٠٤٢).

وعنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كُنَّا عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ، وَلِأُمِّي، وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: فَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُ لَهُمَا حَتَّى نَدْخُلَ فِي دَعْوَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (١)

وعن بَكْرِ الْمُزَنِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لَوْ كَانَ رَجُلٌ يَطُوفُ عَلَى الْأَبْوَابِ كَمَا يَطُوفُ الْمِسْكِينُ يَقُولُ: اسْتَغْفِرُوا لِي، لَكَانَ نَوْلُهُ أَنْ يَفْعَلَ. (٢)

○ استغفار الملائكة لبني آدم:

❑ وردت نصوص تشير إلى استغفار الملائكة لمن في الأرض،

▪ وهذا يعم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي،

كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (٣)

---

(١) أخرجه: البخاري في الأدب المفرد (٣٧). وقال الألباني: صحيح الإسناد.

(٢) ذكره الحافظ ابن رجب في جامع العلوم والحكم تحقيق ماهر الفحل (٣/ ١١٧٤). وأسنده البلاذري في أنساب الأشراف (١١/ ٣٥٣) من طريق معتمر بن سليمان عن أبيه قال: قال بكر المزني: **لو كان الرجل يطوف على المجالس يقول استغفروا لي لكان أحق بذلك من المسكين الذي يطوف عليهم ليعطى ويطعم**. وسنده صحيح.

(٣) سورة الشورى: (٥).

- ومنها ما جاء مقيدًا باستغفارهم للمؤمنين خاصة، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۖ﴾[(١)]

فآية سورة الشورى عامة، وآية سورة غافر خاصة،

- **فمن أهل العلم**: من ذهب إلى أن آية الشورى خصصتها آية سورة غافر فقضت على عمومها فلا تعارض حينئذ لمن استشكل استغفار الملائكة لجميع الخلق وفيهم المشركون، قال قتادة: "للمؤمنين منهم"

- **ومن أهل العلم**: من ذهب إلى أن استغفار الملائكة لمن في الأرض الوارد في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ ليس هو بطلب غفران الله تعالى للمشركين وللفساق من المؤمنين، وإنما استغفارهم لهم بمعنى طلب الهداية التي تؤدي إلى الغفران لهم، أي: السعي فيما يستدعي المغفرة لهم وتأخير عقوبتهم طمعا في إيمان الكافر وتوبة الفاسق، فهي في حق الكفار بطلب الإيمان لهم، وأما في حق العصاة من المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم.[(٢)]

---

(١) سورة غافر: (٧).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٤/٥٤٨، و٥/٢٦)، النكت والعيون (٥/ ١٩٣)، تفسير الطبري (٢٥/ ٨)، الكشاف (٤/ ٢٠٩)، القرطبي في تفسيره (١٦/ ٨).

❑ ومما ورد من استغفار الملائكة،

▪ استغفارهم للمصلين،

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ فَتَصْعَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَتَثْبُتُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ فَتَصْعَدُ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ، وَتَثْبُتُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي، فَيَقُولُونَ: أَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَتَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَاغْفِرْ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ**»(١)

▪ وأيضًا الملائكة يستغفرون لمن نام على طهارة،

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما(٢)، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

---

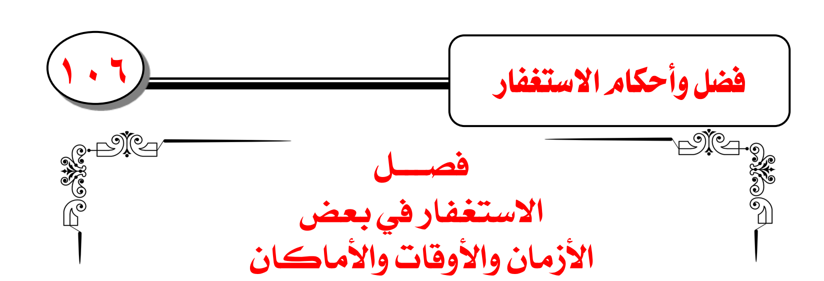
(١) أخرجه: أحمد (١٥/ ٧٦) رقم ٩١٥١/ ط الرسالة) وابن خزيمة (٣٢٢) واللفظ له وابن حبان (٢٠٦١). وهو في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣١٧) رقم (٤٦٣).

(٢) قال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٨٦): قلت: كذا هو في "أوسط الطبراني" (٦/ ٤١/ ٥٠٨٣). ووقع في "المعجم الكبير" (١٢/ ٤٤٦/ ١٣٦٢٠) وغيره: "عن ابن عمر". ومدار إسنادهما على بعض مَن تُكلِّمَ

«طَهِّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»(١)

في حفظهم، لكنْ لعل الثاني أرجح لأنه عند "كبير الطبراني" (١٣٦٢١) من طريق آخر، وهو مخرج في "الصحيحة" (٢٥٣٩)

(١) أخرجه: الطبراني في "المعجم الأوسط" (٥٠٨٧)، وجود المنذري إسناده في "الترغيب والترهيب" (١/ ٢٣١).



فصـــل
الاستغفار في بعض الأزمان والأوقات والأماكان

❒ وردت نصوص في الكتاب والسنة فيها الدعوة إلى الاستغفار:

* في بعض الأزمان
* وفي بعض الأوقات
* وفي بعض الأماكن،

❒ ومن تأمل هذه النصوص حق التأمل وجدها ظاهرة من حيث العلة والحكمة والغرض، وسأورد بعض النصوص الخاصة بهذا الأمر، من ذلك:

[١] الاستغفار عند الانتصار:

فيشرع للمسلمين إذا فتح الله عليهم بلدة، أو استردوا ديارهم، أو نصرهم الله تعالى على عدوهم، أن يكثروا من التسبيح والاستغفار، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[١].

---

(١) سورة النصر: (١-٣).

[٢] الاستغفار في أول الليل وآخره:

فيندب للمسلم أن يستغفر الله تعالى:

- **في أول الليل، وآخره،**

فقد رُوي في ذلك حديث متكلم فيه من جهة الإسناد، وهو ما جاء عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُولَ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ: قَالَ: « **قُولِي: اللَّهُمَّ هَذَا اسْتِقْبَالُ لَيْلِكَ وَاسْتِدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي**»[١]

- **وعند النوم:**

يشرع للمسلم أن يستغفر الله تعالى؛ ليكون خاتمة عمله، إذا رفعت روحه إلى بارئها، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدريّ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيَّ القَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ، ...** »[٢]

---

(١) أخرجه: أبو داود (٥٣٠) والترمذي (٣٥٨٣)، وقال: حديث غريب . وفي سنده أبو كثير مولى أم سلمة، قال الألباني " ضعيف " (٣٥٨٩).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٣٩٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

- **ويندب للعبد أن يستغفر الله تعالى: في الثلث الأخير من الليل**، الذي هو من أفضل الأوقات، التي يناجي فيها العبد ربه وآكدها: لقوله تعالى: ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ (١)

وقوله ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ (٢)

قال بعض أهل العلم: أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر أُمِروا بالاستغفار(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»(٤)

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،**

(١) سورة الذاريات: (١٨).
(٢) سورة آل عمران: (١٧).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام رحمه الله (١٠/ ٨٩)
(٤) أخرجه: البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»(١).

[٣] الاستغفار في نهاية المجلس:

فيشرع الاستغفار في نهاية المجلس، ويكون كفارة لما يقع في المجلس من لغط، وإثم،

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»**(٢)

وتأمل: كيف جمع في هذا الحديث بين: التوحيد، والتحميد، والاستغفار، مما يدل على أهميته.

[٤] الاستغفار في آخر العمر.

ويشرع للإنسان أن يكثر من الاستغفار في نهاية عمره، وعند قرب أجله: لأن المرء، وهو يودع الدنيا ينبغي أن يخرج منها لملاقاة ربه، وهو طاهر الثوب، قليل العيب، خفيف المحمل، كثير الخير، وليس في عنقه

---

(١) أخرجه: البخاري (١١٥٤).

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٤٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب

مظلمة لأحد، وقد علمنا أن جنس الإنسان خطاء، ظلوم، جهول، فاحتاج والحالة هذه أن يكثر من الاستغفار لمن بيده مغفرة الذنوب، وستر العيوب. ويدلنا على مشروعية الاستغفار في نهاية العمر ما رواه البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ عُمَرُ رضي الله عنه يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِمَ تُدْخِلُ هَذَا الفَتَى مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مِمَّنْ قَدْ عَلِمْتُمْ» قَالَ: فَدَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ وَدَعَانِي مَعَهُمْ قَالَ: وَمَا رُئِيتُهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ مِنِّي، فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾[(١)]. حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللَّهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا نُصِرْنَا وَفُتِحَ عَلَيْنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لاَ نَدْرِي، أَوْ لَمْ يَقُلْ بَعْضُهُمْ شَيْئًا، فَقَالَ لِي: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَكَذَاكَ تَقُولُ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قُلْتُ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلاَمَةُ أَجَلِكَ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾. قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»[(٢)]

---

(١) سورة النصر: (١-٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٤٩٧٠).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: مَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ صَلاَةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ فِيهَا: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(١)

و عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْنِدٌ إِلَى صَدْرِهَا وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ**»(٢)

❑ وقد يخطر سؤال في ذهن القارئ الكريم، وهو:

هل يعلم أحد قرب دنو أجله؟

والجواب البدهي: بالطبع لا أحد، فإن نهاية الآجال مما اختص الله نفسه بعلمها، فلم يطلع عليها ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً. ولكن جعل الله تعالى علامات يعرف بها المرء قرب دنو أجله منها:

(١) بلوغ الإنسان سن الستين أو السبعين:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً**»(٣)

---

(١) أخرجه: البخاري (٤٩٦٧) ومسلم (٤٨٤).
(٢) أخرجه: البخاري (٤٤٤٠، ٥٦٧٤) ومسلم (٢٤٤٤).
(٣) أخرجه: البخاري (٦٤١٩).

قال العلماء: معناه: لم يترك له عذرًا، إذ أمهله هذه المدة[(١)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ**»[(٢)].

(٢) ظهور الشيب في رأس الكبير:

فاشتعال شعر الرأس بالنسبة للإنسان الكبير علامة من علامات قرب دنو الأجل، فهو مؤذن وصارخ بالرحيل،

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾[(٣)]،

- واختلف أهل العلم من المفسرين في النذير على أقوال:[(٤)]
  * قيل: هو النبي صلى الله عليه وسلم.
  * وقيل: هو الشيب.
  * وقيل: الأمراض.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٤٠)

(٢) أخرجه: الترمذي (٣٥٥٠ و ٢٣٣١) وابن ماجه (٤٢٣٦).

(٣) سورة فاطر: (٣٧).

(٤) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٦/ ٤٩٤)، والدر المنثور للسيوطي (٧/ ٣٢)

(٣) وقوع المرء في مرض عضال: -عافنا الله وجميع المسلمين-، فالميؤوس يستحب في حقه فعل أشياء كثيرة:

* كتأكد كتابة الوصية،
* ووجوب رد الحقوق إلى أهلها،
* وكثرة الاستغفار، وغيرها.

(٤) كثرة موت الفجأة.

والمتأمل في واقعنا المعاصر يجد أنه لا يعرف زمانًا حصل فيه موت البغتة مثل زماننا، وعلى وجه الخصوص حوادث وسائل النقل، من الطائرات، والقطارات، والسيارات، وما يحصل بسببها من حوادث مفجعة، تأتي على الإنسان كلمح البصر، وربما لا تمهله النطق بالشهادتين، **فينبغي والحالة هذه على الكيس الفطن:**

* أن يكون مستعداً على الدوام للقاء ربه،
* وأن يكون لسانه رطباً من ذكره،
* وأن يكثر من الاستغفار.

أُؤَمِّـلُ أَنْ أَحْـيَا وَفِي كُـلِّ مَرَّةٍ ** تَمُـرُّ بِي المَـوتَى تَهُزُّ نُعُوشَـهَا
وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِثْلُهُم غيرَ أَنَّ لِي ** بَقَايَا لَيَالٍ فِي الزَّمَانِ أَعِيْشُـهَا

فصـــل
الاستغفار بعد الذنوب

❐ يجب على العبد أن:

يبادر إلى التوبة والاستغفار، عقيب الذنب، ولا يجوز له تأخير التوبة، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾[1].

وقال تعالى:﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾[2].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: **«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ**

(١) سورة آل عمران: (١٣٥).
(٢) سورة النساء: (١١٠).

آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»(١)

✍ قال ابن القيم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "

○ الْمُبَادَرَة إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ:

* فَرْضٌ عَلَى الْفَوْرِ،

* وَلَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهَا،

○ فَمَتَى أَخَّرَهَا عَصَى بِالتَّأْخِيرِ،

○ فَإِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ بَقِيَ عَلَيْهِ تَوْبَةٌ أُخْرَى، وَهِيَ: **تَوْبَتُهُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ**، وَقَلَّ أَنْ تَخْطُرَ هَذِهِ بِبَالِ التَّائِبِ، بَلْ عِنْدَهُ أَنَّهُ إِذَا تَابَ مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ شَيْءٌ آخَرُ، **وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْهِ التَّوْبَةُ مِنْ تَأْخِيرِ التَّوْبَةِ**،

○ **وَلَا يُنْجِي مِنْ هَذَا:** إِلَّا تَوْبَةٌ عَامَّةٌ، مِمَّا يَعْلَمُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَعْلَمُهُ،

وَلَا يَنْفَعُهُ فِي عَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ بِهَا جَهْلُهُ إِذَا كَانَ مُتَمَكِّنًا مِنَ الْعِلْمِ، **فَإِنَّهُ عَاصٍ بِتَرْكِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ**، فَالْمَعْصِيَةُ فِي حَقِّهِ أَشَدُّ،

---

(١) أخرجه: الترمذي (٣٥٤٠) وقال حديث حسن.

وَفِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الشِّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَكَيْفَ الْخَلَاصُ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»(١)

. فَهَذَا طَلَبُ الِاسْتِغْفَارِ مِمَّا يَعْلَمُهُ اللَّهُ أَنَّهُ ذَنْبٌ، وَلَا يَعْلَمُهُ الْعَبْدُ.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَأِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ إِلَهِيٌّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»(٢)

---

(١) لم أجده في المطبوع من صحيح ابن حبان، وورد نحو هذا المتن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند أحمد ط الرسالة (٣٢/ ٣٨٣/ رقم ١٩٦٠٦) ورواه البخاري في "الأدب المفرد" رقم (٧١٦) من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه وانظر: صحيح الترغيب (٣٦). وقد ورد موقوفًا عن ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن حبان في الثقات (٥/ ٣٤٢) عَنْ كُرْدُوسٍ التَّغْلَبِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ الشِّرْكُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَفِي الْمُصَلِّينَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ ا.هـ

(٢) أخرجه: البخاري (٦٣٩٨) ومسلم (٢٧١٩) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**»(١)

○ فَهَذَا التَّعْمِيمُ وَهَذَا الشُّمُولُ لِتَأْتِيَ التَّوْبَةُ: عَلَى مَا عَلِمَهُ الْعَبْدُ مِنْ ذُنُوبِهِ وَمَا لَمْ يَعْلَمْهُ ا.هـ(٢).

✍ يقول مَيْمُونُ بْنِ مِهْرَانَ، رَحِمَهُ اللَّهُ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: قَبَّلْتُ امْرَأَةً لَا تَحِلُّ لِي قَالَ: «زَنَى فُوكَ» قَالَ: فَمَا عَلَيَّ فِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «اسْتَغْفِرِ اللَّهَ»(٣)

---

(١) أخرجه: مسلم (٤٨٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) مدارج السالكين (١/٢٩٧–٢٩٨).

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٧/ ٤١٨) رقم (١٣٦٩١).

فصـــل
ثـمـرات الاستغـــفـار وآثـــاره

❑ وهذا الأمر:

* هو غاية ما يسعى إليه العبد،
* ونهاية ما يأمله من استغفاره،

❑ فالاستغفار له:

* ثمرات عظيمة،
* ونتائج طيبة،
* وآثار حميدة،
* وعوائد كثيرة،
* وبركات متتالية

في الدنيا والآخرة، منها ما ندركه مما أخبرنا به خالقنا ومولانا، ومنها ما لا ندركه مما يدخره ربنا عزّ وجل للمستغفرين يوم القيامة.

❑ والواجب على المسلم:

○ أن يحسن الظن بربه،

○ وأن يعلم بأن الله غفار الذنوب والخطايا،

قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾[(١)]

○ وأن من ظن بربه الخير وجد الخير، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[(٢)]

✍ قال النووي:

"وعن بعضِ الأعراب أنه تعلَّقَ بأستار الكعبة وهو يقول:

- اللَّهمّ إن استغفاري مع إصراري لؤم،
- وإن تركي الاستغفارَ مع علمي بسَعَة عفوك لعجز،
- فكم تَتَحَبَّبُ إليّ بالنعم مع غِناكَ عني،
- وأَتَبَغَّضُ إليك بالمعاصي مع فقري إليك،
- يا مَن إذا وَعدَ وَفَّى، وإذا توعَّدَ تجاوز وعفا،
- أدخلْ عظيمَ جُرمي في عظيم عفوكَ يا أرحم الراحمين"[(٣)].

وباستقراء نصوص الوحيين الشريفين نجد بأن للاستغفار نتائج طيبة وعظيمة، وأذكر منها:

---

(١) سورة طه: (٨٢).

(٢) أخرجه: البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الأذكار، النووي (٦٣٧).

[١] الأول: تكفير الذنوب والخطايا.

فالاستغفار يحرق الذنوب والمعاصي كما تحرق النار الحطب، والمقصود بالاستغفار الذي بمعنى التوبة؛ فإنه أرجى أن يكفر به الذنوب، إن توفرت فيه شروط التوبة، يقول الله تعالى:

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[١].

وقال الله في الحديث القدسي:

«... يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...»[٢]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

«قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ... يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، ...»[٣]

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

---

(١) سورة النساء: (١١٠).

(٢) أخرجه: مسلم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٥٤٠) وقال حديث حسن.

«مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ»(١)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»(٢)

---

(١) أخرجه: الحاكم في المستدرك (١٨٨٤ و٢٥٥٠) وصححه. وله شاهد عند أبي داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٢) من حديث زيد مولى رسول الله ﷺ. وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (٢٧٢٧).

(٢) أخرجه: البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨)

أي: ما دمت تائباً راجعاً منيباً مستغفراً .[(١)]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ**» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[(٢)(٣)]

[٢] الثاني: دخول الجنة:

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا**»[(٤)].

[٣] الثالث: الأمان من العذاب العام والخاص:

فبالاستغفار يرفع الله العذاب عن مجموع الأمة، غثها وسمينها، صالحها وطالحها، قال الله تعالى:

---

(١) انظر الفوائد لابن القيم (ص:٦٢و٦٣) وفتح الباري لابن حجر (١٣/٤٧٢).

(٢) سورة المطففين: (١٤).

(٣) أخرجه: الترمذي (٣٣٣٤) وابن ماجه (٤٢٤٤) وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح" ا.هـ

(٤) أخرجه: ابن ماجه (٣٨١٨) بإسناد صحيح.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[١]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لم تُعذَّب قرية حتى يخرج نبيُّها والمؤمنون معه"[٢]

وقال رضي الله عنهما أيضًا: " كَانَ فِيهِمْ أَمَانَانِ: نَبِيُّ اللَّهِ وَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ: فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ وَبَقِيَ الِاسْتِغْفَارُ "[٣]

- ويقصد بالأمانين:
  - * الأول: رسول الله ﷺ في حياته،
  - * وبالثاني: الاستغفار.

❑ وقد اختلف العلماء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾

- **وحاصلها قولان:**

▪ **القول الأول:** لو استغفروا لما عذبهم الله، ولكنهم لم يستغفروا فاستحقوا العذاب، وهذا كما تقول العرب: ما كنت

---

(١) سورة الأنفال: (٣٣).

(٢) انظر: زاد المسير، ابن الجوزي (٢/٢٠٦)

(٣) أخرجه: ابن أبي حاتم (٥/١٦٩١و٩٠١٧) والطبري (١٦٠٤).

لأهينك وأنت تكرمني؛ يريدون ما كنت لأهينك لو أكرمتني، فأما إذا لست تكرمني، فإنك مستحق لإهانتي.

▪ **القول الثاني:** أن المراد استغفار المؤمنين المستضعفين بمكة، لأنه لما هاجر النبي ﷺ -وخرج المؤمنون الذين كانوا يستغفرون وبسببهم دفع العذاب-، استحق الكفار العذاب بقوله: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[(١)]

✍ قال ابن الجوزي: "وما كان الله معذِّبَهم، يعني المشركين، وهم -يعني المؤمنين الذين بينهم- يستغفرون ... قال ابن الأنباري: وُصفوا بصفة بعضهم، لأن المؤمنين بين أظهرهم، فأوقع العموم على الخصوص، كما يقال: قتل أهل المسجد رجلاً، وأخذ أهل البصرة فلاناً، ولعله لم يفعل ذلك إلا رجل واحد"[(٢)]

[٤] الرابع: المتاع الحسن:

❐ فالله تعالى يوفق المستغفرين الله كثيرًا والمستغفرات إلى حياة طيبة نظيفة، يشع فيها الأمن، والأمان، والطمأنينة، والاستقرار، وراحة البال، وسكون القلب، والخير العميم، يقول تعالى: ﴿وَأَنِ

---

(١) سورة الأنفال: (٣٤).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٢٠٧).

ﭐسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ (١)

○ خاصة: وأن في الاستغفار:

* اعتراف من العبد للرب بوقوعه في الذنب، أو التقصير

* والاعتراف بالخطيئة والذنب هو صفة الأنبياء والمرسلين،

* وقد مر معنا شيء من هذا مما أخبر الله عنهم في كتابه،

* وأيضاً هي صفة عباد الله المتقين،

يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ (٢) ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ (٣)

❑ وإنما كان سيد الاستغفار، الذي مر معنا، سيدا:

○ لتضمنه الإقرار بالذنب من العبد

---

(١) سورة هود: (٣).

(٢) سورة آل عمران: (١٣٥).

(٣) سورة آل عمران: (١٦-١٧).

- والاعتراف بالخطيئة
- مع علمه الجازم بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله،
  * وهي مرتبة عظيمة،
  * وخلة سامية،

وقد مر معنا شيء من النصوص في هذا الأمر.

- ولو ضربنا مثالاً لما يحسه الناس ويشاهدونه ويعايشونه،
- أن المخالف للقانون والنظام متى ما أخفى مخالفته، وإن كان يجزم بأن أحداً لم يطلع عليها، فهو مهما عاش، فإنه يبقى في شغل شاغل، وقلق ساهر، وحرج في الصدر دائم، فإذا اعترف شعر بحمل ثقيل يلقيه عن كاهله، ويزيحه عن رقبته،
- فكذلك العبد مع ربه سبحانه الغفار للذنوب، والذي يعلم السر وأخفى،
- **فاعترافه بذنبه عن طريق الاستغفار**، مع علمه بأن الله وعد على الاستغفار: محو الذنوب، وتكفير السيئات، بل وتبديلها إلى حسنات **يزيح عنه**: هماً طالما أسهره، وضيقاً طالما أثقله، **وينقله إلى حياة الطمأنينة والراحة**.

[٥] الخامس: الاستغفار سبب لنزول المطر:

فمن أسباب نزول الأمطار: كثرة الاستغفار واللجوء إلى العلي الغفار، قال تعالى:

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾[١]

وقد ذكرت فيما مضى ما عليه حال السلف من كثرة الاستغفار، في طلبهم السقيا من الله، في صلاة الاستسقاء وخارجها.

[٦] السادس: الاستغفار سبب في إمداد العبد بالأموال والأولاد.

قال تعالى: ﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾[٢]

- والمدد هنا نوعان:
  * إما أن يكون إيجاداً بعد عدم،
  * أو قوة وبركة بعد ضعف،

وَقَالَ ابْنُ صُبَيْحٍ:

شَكَا رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ الْجُدُوبَةَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

وَشَكَا آخَرُ إِلَيْهِ الْفَقْرَ فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

---

(١) سورة نوح: (١١-١٢).

(٢) سورة نوح: (١٢).

وَقَالَ لَهُ آخَرُ. ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِي وَلَدًا، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

وَشَكَا إِلَيْهِ آخَرُ جَفَافَ بُسْتَانِهِ، فَقَالَ لَهُ: اسْتَغْفِرِ اللَّهَ.

فَقُلْنَا لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: مَا قُلْتُ مِنْ عِنْدِي شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي سُورَةِ"نُوحٍ": ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ (١) . (٢)

[٧] السابع: الاستغفار سبب في زيادة القوة:

○ فالله تبارك وتعالى يمنح العبد بالاستغفار قلبًا وبدنًا قويين يتحملان الشدائد، قال تعالى على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (٣)

○ ولقد كان السلف يستعينون بالاستغفار على تجاوز المفاوز، والمشاكل، فيمنحهم الله بهذا الاستغفار قوة يتجاوزون بها كل نقاط الضعف التي يقف عندها الغافلون عن الاستغفار.

---

(١) سورة نوح: (١١-١٢).

(٢) انظر: القصة في تفسير القرطبي (٢٥٥/٢١) وفتح الباري لابن حجر (٩٨/١١).

(٣) سورة هود: (٥٢).

[٨] الثامن: الاستغفار سبب في تيسير الطاعات وتعسير المعاصي.

- فكما أن السيئة تقول: أختي .. أختي ؛ كذلك الحسنة تقول: أختي .. أختي.
- فالذي يلهج لسانه بالاستغفار دائمًا، فلا ريب أنه يقوده إلى ما هو مثله من العبادات اللسانية، وكلما صاحب المرء استغفاره بتذكر ذنوبه، قاده إلى إحسان العمل، بإذن الله تعالى.

[٩] التاسع: إغاظة الشيطان.

- فلا شيء: أغيض للشيطان، ولا أقصم لظهره، وأتعب له من الاستغفار؛
- لأنه محروم منه، فهو ملعون مطرود، وأمنيته من بني آدم أن يشاركوه اللعنة والعذاب،
- وفي استغفار المؤمنين إياس من الشيطان أن يبلغ منهم غايته أو يحقق أمنيته.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَالَ: وَعِزَّتِكَ يَا رَبِّ، لَا أَبْرَحُ أُغْوِي عِبَادَكَ مَا دَامَتْ**

أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي»(١)

○ أي: زيادة في نكايتك وتكبيتك وإحزانك أعطيهم ما أنت ممنوع منه ومطرود عنه، وهي: المغفرة، إذا طلبوها مني أعطيتهم إياها.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ **قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي**(٢) **شَيَاطِينَهُ، كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ»**(٣)

✍ وعَنِ الْأَوْزَاعِيِّ رحمه الله قَالَ:

"قَالَ إِبْلِيسُ لِأَوْلِيَائِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَأْتُونَ بَنِي آدَمَ؟

---

(١) أخرجه: الإمام أحمد (١٧/٣٣٧و٣٤٤/ ط الرسالة رقم: ١١٢٣٧، و١١٢٤٤)

وانظر السلسلة الصحيحة (١٠٤).

(٢) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ط هجر (١/ ١٥٩): وَمَعْنَى لَيُنْضِي شَيْطَانَهُ: لَيَأْخُذُ بِنَاصِيَتِهِ فَيَغْلِبُهُ وَيَقْهَرُهُ، كَمَا يَفْعَلُ بِالْبَعِيرِ إِذَا شَرَدَ ثُمَّ غَلَبَهُ ا.هـ

وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٧٢): أَيْ يُهْزِله، ويَجْعله نِضْواً. والنِّضْوُ: الدَّابَّةُ الَّتِي أهْزَلَتْها الْأَسْفَارُ، وأذهبت لحمها ا.هـ

(٣) أخرجه: الإمام أحمد (١٤/٥٠٤/ ط الرسالة رقم: ٨٩٤٠) وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٥٨٦).

فَقَالُوا: مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

قَالَ: فَهَلْ تَأْتُونَهُمْ مِنْ قِبَلِ الِاسْتِغْفَارِ؟

فَقَالُوا: هَيْهَاتَ، ذَاكَ شَيْءٌ قُرِنَ بِالتَّوْحِيدِ.

فَقَالَ: لَأَبُثَّنَّ فِيهِمْ شَيْئًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْهُ.

قَالَ: فَبَثَّ فِيهِمُ الْأَهْوَاءَ"(١)

✍ وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ:

" بَلَغَنَا أَنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: سَوَّلْتُ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ الْمَعَاصِيَ فَقَطَعُوا ظَهْرِي بِالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَمَحَّلْتُ لَهُمْ فَسَوَّلْتُ لَهُمْ ذُنُوبًا لَا يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ مِنْهَا، هَذِهِ الْأَهْوَاءُ "(٢)

---

(١) أخرجه: الدارمي (٣٠٨) واللالكائي في "اعتقاد أهل السنة" (١/ ١٣١).

(٢) أخرجه: هناد في "الزهد" (٢/ ٤٦٤).

[١٠] العاشر: تفريج الهموم والغموم وحصول الرزق:

فبالاستغفار:

* تنزاح الهموم،
* وتزول الغموم - بإذن الله -
* ويوفق العبد للرزق من حيث لا يحتسب.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ لَزِمَ الِاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»(١)

---

(١) أخرجه: أحمد (١/٢٤٨) وأبو داود (١٥١٨) وابن ماجه (٣٨١٩) والحاكم (٤/٢٦٢) وقال صحيح الإسناد، قلت: وفي سنده مقال وكذا أخرجه: ابن السني (٣٦٤) . والبيهقي (٣/٣٥١) وغيرهم وإسناده ضعيف انظر الضعيفة (٧٠٥).

[١١] الحادي عشر: في الاستغفار أمان من النار وسبب في دخول الجنة بإذن الله تعالى .

فعن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ:

«سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ[١] **أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»** قَالَ: **«وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»** خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ[٢] .

---

(١) **قال الطيبي**: " لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة استعير له اسم (السيد) وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد إليه في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور أ.هـ فتح الباري (١٤/١٥٤ — ١٥٥).

قلت: وجاء في رواية الترمذي (٣٣٩٣): **«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الِاسْتِغْفَارِ ...»** وفي حديث جَابِرٍ رضي الله عنه — عند النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٧٥) رقم (١٠٢٢٨) – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: **« تَعْلَمُوا سَيِّدَ الِاسْتِغْفَارِ: ... »**.

(٢) تقدم تخريجه (ص ٧١)

✍ وقد بوب الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ على هذا الحديث فقال: (باب أفضل الاستغفار).

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ:

«يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الِاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ ...» الحديث.(١)

فإرشاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهن بالتصدق والاستغفار لغرض نجاتهنَّ من النار، وأنه بالاستغفار ينجو العبد من المهالك في الدنيا والآخرة.

فعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ فَلْيُكْثِرْ فِيهَا مِنَ الِاسْتِغْفَارِ»(٢)

✍ ويقولُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

" رَأَيْتُ أَبِي فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَأَنَّهُ فِي حَدِيقَةٍ فَرَفَعَ إِلَيَّ تُفَّاحَاتٍ فَأَوَّلْتُهُنَّ بِالْوَلَدِ، فَقُلْتُ: أَيَّ الْأَعْمَالِ وَجَدْتَ أَفْضَلَ؟

---

(١) أخرجه: مسلم في صحيحه (١٣٢/٧٩).

(٢) أخرجه: الطبراني في المعجم الأوسط (٨٣٩) وفي كتاب الدعاء (١٧٨٧) والبيهقي في الشعب (٦٣٩) والضياء في المختارة (٨٩٢) وحسن إسناده المنذري في الترغيب (١٦١٩) وكذا الألباني في الصحيحة (٢٢٩٩).

قَالَ: الِاسْتِغْفَارُ يَا بنيَّ"(١)

[١٢] الثاني عشر: أن المستغفرين أخف الناس أوزاراً:

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»(٢).

قالَ حَسَّانُ بنُ عَطِيَّةَ رحمه الله:

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ سَيِّئَةً وَقَفَ الْمَلَكُ لَمْ يَكْتُبْهَا ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ كُتِبَتْ وَإِنِ اسْتَغْفَرَ لَمْ تُكْتَبْ"(٣)

✍ قال بكر بن عبد الله رحمه الله: إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ ذُنُوبًا أَقَلُّهُمُ اسْتِغْفَارًا، وَأَكْثَرَهُمُ اسْتِغْفَارًا أَقَلُّهُمْ ذُنُوبًا. (٤)

✍ وَقِيلَ لِبَعْضِ السَّلَفِ: كَيْفَ أَنْتَ فِي دِينِك؟ قَالَ: **أُمَزِّقُهُ بِالْمَعَاصِي وَأُرَقِّعُهُ بِالِاسْتِغْفَارِ**(٥)

---

(١) تقدم تخريجه (ص: ٣٣)

(٢) تقدم تخريجه (ص: ١٢٢).

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٧٥).

(٤) انظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٠/ ٦٥٢).

(٥) انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٣٧٨) وتاريخ بغداد ت بشار (٢/ ٨٥)

✍ يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سألت شيخ الإسلام ابن تيمية فقلت: يسأل بعض الناس: أيهما أنفع للعبد التسبيح أم الاستغفار؟ فقال: " إذا كان الثوب نقيًا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنسًا فالصابون والماء أنفع له ". فقال لي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فكيف والثياب لاتزال رثه" [(١)].

✍ وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ وَسَيِّئَاتُهُ حَتَّى فَاتَتِ الْعَدَدَ وَالْإِحْصَاءَ، فَلْيَسْتَغْفِرِ اللَّهَ مِمَّا عَلِمَ اللَّهُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ وَأَحْصَاهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [(٢)] [(٣)].

وفوائد الاستغفار وعوائده كثيرة جداً.

أسأل الله أن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يجعل هذا العمل سببًا من أسباب مغفرة ذنوبنا، ورفعة في درجاتنا، وصلى الله على مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان والحمد لله رب العالمين

---

(١) ذكره ابن القيم في "الوابل الصيب" (ص:١٢٤).
(٢) سورة المجادلة: (٦).
(٣) جامع العلوم والحكم تحقيق ماهر الفحل (٣/ ١١٧٤).

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

